ثورة المفاهيم وتصحيح التاريخ

ثورة فكرية في المفاهيم العقائدية والقصص القرآنية المرتبطة

بها لتفنيد الموروث الشعبي

تأليف

أسامة عبد الأمير مكلف البدران

2020 م – 1441هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

افلا يتدبرون ... مبحث ثورة المفاهيم وتصحيح التأريخ ...

ان ما يدعو الى الفخر حقاً هو وجود متابعين لما نكتب على بساطته وركاكة طرحه ولكنهم لهم قلوب طيبة ووعي وأدراك لمدى أهمية ما نقوم به من معالجة وتصحيح للمفاهيم التي بقيت ثابته قابعة على ظهور الأجيال لمئات السنين دون ان يحرك أحدهم ساكناً لكي يصحح ما ألفاهُ من عقائد وموروثات الإباء والجدود..

وحقٌ علينا امام متابعينا ان نكون اهلاً لحمل الأمانة الملقاة على عاتقنا وايصالها الى شريحة واعية من أبناء هذا الخط المبارك، ولذا فقد اتخذت من أيام شهر الصيام ﴿رمضان﴾ المبارك المجمع على زمنه عند الأمة الإسلامية منطلقا لكتابة هذا المبحث للتبرك أولاً ولتبيان منهج البحث الذي لا يدعو صاحبه الى أن يترك الناس دينهم

الذي وجدوا عليه ابائهم واجدادهم والعقل الجمعي الذي عاصروه، واعتقد ان هذا المبحث سيمثل ثورةً على المفاهيم المغيبة في أمهات الكتب المختصة بالشأن التاريخي الإسلامي سواء كانت تلك الكتب علمية ام تاريخية ام فقهية ام لغوية وعلى اختلاف مسمياتها، فقد أصبحت بمرور الزمن مقدسة من قبل ارباب الشريعة المحمدية والذين يحلو لهم ان يصنفوا أنفسهم من المسلمين، وأصبحت هذه المفردة حكراً لمريدي الدين الذي جاء به النبي محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾...

ولا يخفى عليكم وعلى كل ذي لبٍ وفكرٍ ثوريٍ فاعلٍ غير مستقر ومنفعل في ثوابت التجمعات السكانية والثقافات الشعوبية ان للتاريخ اثراً على العقيدة وان أي تحريف في أصل المادة التاريخية قد يسبب عطباً في المفاهيم لا يمكن التخلص منه الا بشق الانفس، بل قد يكون سبباً لانهيار الوعي المجتمعي بالكامل!! وبالأخص

الأجيال الحديثة العهد بالأحكام والدساتير التي وضعها الناس لإدارة ممالكهم التي اورثهم الله إياها.. ولله الملك يؤتي ملكه من يشاء من عباده..

المؤلف
كربلاء المقدسة
1441 هـ-2020م

الفصل الأول

منهج ثورة المفاهيم

تمهيد

تمهيداً لثورة المفاهيم ولكي نعطي تصوراً للمتلقي عن فحوى فصول الكتاب القادمة لا بحجة التشويق فقط بل لتبيان أن منهجية هذا المبحث لم ننفرد بها وانما يعمل بها علماء على مر العصور وعلى الأقل لنقل خلال 1400 عام منصرم[(1)]، فقد خرج علماء يدعون لتدبر آيات القرآن الكريم بسياق جديد مخالف للموروث والسياق المعمول به [(2)]، بل قد يخرج بين الحين والأخر عالمٌ هنا وهناك يجمع بين عدة مناهج فتارة يكتب بطريقة اخبارية[(3)]وتارةً أخرى يكتب حسب المنهج الاصولي[(4)] وقد يجمع احدهم بين المنهجين[(5)]ولكن ما يلاحظ على تلك الكتب السابقة والآراء المستفيضة انها لم تخرج بنتائج مقنعة للجمهور الذي

(1)معترك الاقران في اعجاز القرآن: جلال الدين السوطي، ط: 1408 هـ.

(2)مختصر تفسير الميزان: كمال مصطفى شاكر، ط :1424هـ.

(3)البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، ط: 1403هـ.

(4)الأكسير في قواعد التفسير: نجم الدين أبو سليمان الطوقي الحنبلي، ت 710 هـ.

(5)منة المنان في الدفاع عن القرآن: محمد صادق الصدر، ط: 1431هـ.

يحاول جاهداً اللحاق بعلوم تلك الكتب وتجاوزها على اقل تقدير، ويمكن تلخيص الأسباب ببساطة، الى صعوبة المنهج، وصعوبة المصطلحات المستخدمة، وبعدها عن اللغة الدارجة لعامة الناس، واغلب استدلالات تلك الكتب كانت بأحاديث السلف المنسوبة للنبي وعترته واصحابه واهل بيته وازواجه وغيرهم ممن عاصر تلك الفترة من المخالفين والاعداء، ومن مميزات هذه الاحاديث في الاستدلال انه لا يكتفى بعرض متنها ومناقشته فقط ، بل تجد قبلها مقدمة طويلة عريضة من الأسماء ولاحقات تلك الأسماء مثل ﴿ عن أبن أبي فلان – و ثنا فلان عن فلان – وحدثنا فلان ان فلان ثنا...والخ﴾ من المطولات المملة والتي لو تفكر قارئها قليلا لوجدها منظومة من الرجال يثني بعضهم على بعض ومن يخالفهم يصفوه بأبشع الاوصاف و لا يوجد اسهل من تسقيط الشخص ان ارادت هذه المؤسسة الإخبارية اسقاطه ولا يوجد اسهل من نعته بأوصاف السهو والنسيان والجنون والخرف والسحر(1)، بل ان نفس هذه الاوصاف قد اطلقت على الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ حينما

---

(1)تعتبر قراءة القرآن لعاصم ابن ابي النجود الكوفي الاسدي التي يرويها عنه حفص بن سليمان الكوفي من أشهر القراءات واصحها لدى جمهور علماء المذاهب الإسلامية ويرويها عن أمير المؤمنين على ابن ابي طالب (ع)، ولكن عاصم الاسدي في الحديث ضعفه الرواة في علم رجال الحديث، فهم ينقلون عنه القرآن وينبذون منه الحديث والرواية والاخبار وهذا من تناقضات علماء السلف في الإسلام.

حضرته الوفاة كما ينقل الرواة انفسهم في أمهات كتبهم[1] !! وبعد هذه المطولة في الاستدلال برواية تصل الى متنٍ لها لا يتجاوز عدة أسطر او كلمات معدودة ولا تشفي غليل وفضول ونهم من كان يريد ان يعلم مراد الله من كلامه في الذكر الحكيم، ولهذا اجد حسب ظني ان القرآن الكريم يتم تدبر مفرداته من خلال عرض نصوصه على باقي الكتاب بطريقة منهجية وجداول لتبيان التكرار لنفس المفردة في عدة مواضع لفهمها وتدبرها، وربما يمكن جلب بعض النصوص الروائية الموافقة والمصدقة للنص القرآني لتحقيق نظرة أوسع وتصور شامل لما أراد الله تبيانه من آياته للناس ، وقد يعتقد بعض من يصنفون انفسهم تحت طائلة اهل العلم أن هناك موارد في القرآن ونصوص هي ليست محل ابتلاء او لا نفع في تدبرها!! وهذا طبعا ليس رأياً من بنات أفكارهم وقرائحهم بل قد تحصلوا عليه رأياً جاهزاً عمل به من هو قبلهم من الفلاسفة وأصحاب الجدل المنطقي والفلسفي[2] وهو رأي متبلور معمول به دون تدبر ودون وعي عند شريحة كبيرة من طلاب العلم، والذي لابد في يوم من الأيام في مسيرتهم المعرفية ان يصطدموا به ويتخذوه

(1)صحيح البخاري: باب قول المريض قوموا عني: 271/4: قول عمر (ان الرجل ليهجر).

(2)الموافقات: الامام الشاطبي: 43/1 – 66، قوله (كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لا يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح).

منهجاً لهم مع شديد الأسف، و اعتقد جازماً ان الحال المتردي الذي وصلت اليه الامة الإسلامية هو بسبب تأثرهم بالمناهج الافلاطونية وجعلها مرتكزاً لدراساتهم الفقهية والعقائدية والتشريعية، وانا من منطلق اعتقادي وايماني بقدسية العقل وحرية الفكر والمعتقد اقول جازماً متأكداً من حقيقة ايماني ان العقل المودع في الجمجمة البشرية هو ﴿نبي الله فينا﴾ ، ومن خلاله نتحصل على الالهام الإلهي، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال ان يكون الشخص المعتقد بهذا الكلام انه يدعي نبوةً او تواصلاً مع خالقه دون الاخرين، بل هو ايمان بأن الله يتواصل مع الجميع عن طريق هذا الجهاز ﴿ نبي الله فينا﴾، فقد قال جل وعلا : ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، ولا بد لهذا التعليم الذي ذكره الله من تواصل مادي ، والا ما فائدة هذا النص ان قلنا ان اغلب العلوم هي نتائج تجربة وصدفة وسعي دون توفيق الخالق سواء كان بطرق السلب او الايجاب؟!! نعم يمكن لله ان يودع في الانسان بعض الوسائل المساعدة لطلب العلم بطريقة أسرع وقد تكون هذه الوسائل فسلجيه وراثية او مادية او عائلية، كما هو واضح للبعض الذي يولد في عائلة علمية او ثرية فقد تكون له مفاضلة في طلب العلم وهو ميسور الحال

(1) سورة القلم: آية 5.

على الفقير المتعفف المقطوع من شجرة، وقد يقضي عمره في طلب القوت وتوفير المال لعياله والذي يأخذ منه وقتاً يجعله لا يقدر على مدارسة العلوم اسوة بالناس الباقين، والعلم سلاح ذو حدين، فأن كان بأيادي سليمة يتم تسخيره بالإيجاب للصالح العام، وان كان بإيادي مريضة قد يستحكم بهم الامر ان يهلكوا الحرث والنسل باستخدام هذه العلوم الا ما ندر، كما في قصة فرعون [1] واستخدامه العلوم في تسخير الاجل المسمى وإقناع المجتمع بالخلود الأرضي من خلال تقنية المصانع التي استولى عليها بعد هلاك قوم عاد وثمود.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[2]

(1)لتفصيل أكثر راجع مدونة الدكتور رشيد سليم، أستاذ اللغات والمختص بعلوم اللغة العربية والالسن والاصوات في جامعة اليرموك الأردنية.

(2) سورة الفجر : آية (6-13).

وهذا التوالي اللفظي في النص القرآني لهذه الحضـــارات الثلاثة لم يأتي اعتباطاً ولا لإكمال القافية كما قد يتخيل بعض اهل الدراية ادام الله علومهم على الامة الإسـلامية، فهم ينتفضـون من سـباتهم فقط حينما يحاول أحد ما ان يهدم موروثهم البالي مع شديد الأسف!! فهؤلاء حينما تطلب منهم تشـريعاً معيناً يسـارعون في اصـدار الاحكام والتي يفترون كذباً انها من عند الله! ولكنهم غافلين على ان هذا الشــخص المسـكين جاءهم مسـتشـرعاً فقط لان لا حيلة له ولا ناصـر، ولو فكروا بتوفير البديل قبل اصـدار الحكم بالتحريم لكان أولى، وقد وصـل الناس الى قناعة تامة ان خروجهم من هذه الدنيا لا محالة يكون بعده عذاب سـواء في القبر والبرزخ ام في الاخرة، ولهذا بدأوا يجمعون البركات من كهنة معابد القوم وقسـيسـهم ممن يعتبرون انفسـهم حجج الله على خلقه، ولكنهم لم يأتوا بالحق اطلاقاً، غافلين عن ان اقرب الناس الى الله هو من قال الحق ولو على نفسـه، وحينما نرجع الى النص السـابق نجد ان حضارة عاد وثمود وفرعون كان بينهم مشترك جغرافي وسكاني وحضاري واحد سنتطرق له بشيء من التفصيل في الابحاث القادمة ان بقيت الحياة، وسنقوم بعرض كافة النصوص التي تدعم استنتاجنا الذي توصلنا اليه او قد نتوصل اليه بحسب المعطيات، وما احب ان اوضحه

في هذه الكلمات هو اننا لا ندَّعي لأنفسنا في شيءٍ من العلمِ لم يتوفر عند غيرنا، وقد يجد القارئ اللبيب في فصول هذا الكتاب تشابها في النتيجة عند المدونين الاخرين او الكتاب والباحثين سواء في كتبهم او في مقالاتهم، وانا لا ادعي ان ما لدي هو كلام الله، فقد قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(1).

بل لا اطلب منكم اجراً ولا ثناءً ولا شكوراً، ولست طامعاً بالنشر في مواقع التواصل الاجتماعي او المكتبات العامة من اجل جمع مريدين او اتباع ولا طلباً للاستحسان والاعجاب والمشاركة، انما ابتغي وجه ربي حنيفاً مسلماً طلبا لمرضاته من خلال تصحيح مفاهيم المجتمع في كلمات الله التامات الميسرة للفهم والهضم من قبل كل طالبٍ للحق والحقيقة ان يظهرها الله على يد اولياءه وعباده او يشأ يخفيها عنهم يهدي من يشاء الى سواء السبيل...

(1) سورة البقرة: آية 79.

هيكلية البحث العلمي في ثورة المفاهيم:

ان الطابع العام للمنهج المتبع في هذا الكتاب هو فريد من نوعه او ربما يعتبر غريباً على الجمهور لأول وهلة ويمكن تلخيصه بعدة نقاط:

1. التدبر في القرآن الكريم.
2. الأخذ بعين الاعتبار الابتعاد عن الموروث الروائي والاساطير الشعبية.
3. اعتماد المنهج اللغوي الحديث في عرض المفردات القرآنية على نصوص أخرى والاجتهاد في طلب المعنى الأقرب للواقع ان لم يكن موجوداً في الكتاب نفسه.
4. ان هذا المنهج لم انفرد به لوحدي فقد سبقني فيه كتاب ومؤلفين وعلماء وسلف ولكنني اظن ان ما أهمله السلف سأحاول جاهدا تداركه وبلوغ مداركه بأذن ربي.
5. هناك تشابه بين النتائج التي سنتوصل اليها وما يكتبه الاخرين في مدوناتهم وصفحاتهم بسبب تشابه الرؤى وتلاقح الأفكار والمصادر.
6. يختلف منهجنا عن المنهج الاصولي والمنهج الاخباري والمناهج التي تجمع بين المنهجين بسبب مراعاتنا للواقع الجغرافي

والتاريخي والسياسي والعلمي والذي لم يكن للعلماء سابقا الاطلاع عليه لأنه لم يكن موجوداً او يعتبر ثوري على السياقات المعمول بها فاهملوه للأسف.

كتب عليكم الصيام:

وبعد هذا التفصيل سنبدأ تدبرنا في مفردات الصيام والصوم والتي كثرت حولها الشبهات وطرح الأسئلة[1] ولأننا في بداية شهر رمضان فمن الطبيعي ان تكون اغلب الشبهات تحوم حول هذه المفردات، على الرغم من انني كنت مقتنعاً ان لا اطرح أي شيء عن هذه المفردات لكي لا يحصل خلط في المفاهيم وبين الفقه والعقيدة مما يسبب ارباكاً للفرد الراغب بأداء الشعائر بحسب ما ورثها وفهمها من المراجع والعلماء المختصين بالفقه والتشريع، وهنا احب ان اكرر منوهاً ومنبهاً ان النتائج التي نتوصل لها هنا لا علاقة لها بالفقه ولا تعتبر دعوة منا لترك العمل بالموروث وتفنيد اراء المجتهدين والفقهاء للمذاهب الإسلامية انما هي اراء اقرب لفهم مراد الله سبحانه وتعالى من كلماته

(1) من الاعتراضات التي نضعها على الكتب الفقهية والرسائل العملية للمراجع والمجتهدين في المذاهب الإسلامية هو وجود (باب الصوم) وليس باب (الصيام) في كتبهم في حين ان الله تعالى يقول في كتابه الكريم: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم). والصيام مفردة مختلفة عن الصوم من حيث التطبيق والتكليف.

التي يسرها للذكر وبينها لنا بلسان عربي مبين وفصل آياته تفصيلاً لعل الناس يتقون، وبمناسبة كلمة يتقون هنا سنستعرض الآية القرآنية التي حددت مفردة الصيام وعلّة الصيام بقولهِ تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وهنا يجب ان نبين أولاً أن قولنا ﴿لِعلّة﴾ المفرد هو نفس مراد كلمة ﴿لَعَلَّكُم﴾ الجمعي، فالخطاب ما بين المفرد والجمع مشتمل على ضمائر مخصصة للحال الذي يوضحه شكل المفردة في متن القرآن الكريم، والمتمعن في بداية الآية الكريمة يجد أن مفردة ﴿كُتِبَ﴾

(1) سورة البقرة: آية (183 – 185).

بالحركات الظاهرة عليها هي حال للفعل ﴿كُتِبَ﴾ الماضي ولكنه مبني للمجهول!! والحال المبني للمجهول للفعل في القرآن الكريم تكرر في آيات أخر، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ولكي نصل الى فهم أقرب للواقع من خلال تدبر الحالة الاعرابية لشكل الكلمة ونقع على مراد الله من اطلاقها بهذا النحو، فأن منهجنا في التدبر يستند على قاعدة متينة مبنية على عقيدة راسخة وايمان أن هذه المفردة قد وردت بهذا الشكل من عند الله ولم يتدخل برسم شكلها بني البشر أو الجن وغيرهم [2]، فالقائلين بالتحريف القرآني

---

(1) سورة البقرة: آية 216.

(2) يروى في كتب السيرة النبوية ان النبي محمد (ص) لم يجمع القرآن في عهده ترقيا لنزول آيات جديدة بل انه كان حريصا على عدم جمعه في مصحف واحد!! وبالتالي بقي متفرقا في صدور الناس والرق والصحف الى عهد أبو بكر حيث جمعه لأول مرة واودعه عند حفصة بنت عمر في حين ان القرآن الكريم بهذا الشكل الموجود حاليا عندنا هو جمع الله واودعه عند النبي بشكله الحالي .. قال تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وهذا النص واضح جدا في تبيان مراحل نزول القرآن بشكله الحالي بالتسلسل التالي: (عدم التعجيل بإظهاره وقراءته ثم جمعه وقرآنه وبعد جمعه تتم قراءته وبعد قراءته تتبع قرآنه ثم يأتي واجب النبي بتبيانه) أي ان التبيان تكليف لمحمد بعد ان بجمع القرآن بشكله الحالي وهذا النص ينسف رواية جمع القرآن بحسب الاخباريين ..

ندعوهم اما القراءة من اجل سعة الاطلاع فقط، أو ان ينأوا عما نكتب هنا فهو لا يخدمهم بشيء مثلهم كمثل الذي يستدل على عدم وجود الأنبياء ويستند بهذا الرأي على كتبهم أنفسها [1]!! واعتقد ان من يتقول على القرآن بالتحريف هو اما عن عجزٍ لفهم مراد الله منه او عداوة وبغضاء في هذا الكتاب الذي عجز الجن والانس على ان يأتوا بآية واحدة فقط من مثله، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

وانا أدعو القائلين بتحريف القرآن وتغيير مفرداته سواء بالحال او الشكل او الاعراب او الرسم أن كانوا في ريب من هذا القرآن ان يأتونا بسورة واحدة فقط من مثل هذا القرآن وادعوا من شئتم من شهدائكم، بل اشهدوا كل الأمم على انجازكم هذا، ولن تستطيعوا ابدا ولو كنتم قادرين لفعلها من جاء قبلكم من أعداء الدين المحمدي والأمم السابقة والمعاصرة، ونرجع الى تدبرنا لحال الفعل ﴿كُتِبَ﴾ المبني للمجهول لوجدناه جاء بهذه الصيغة في آيات اخر جاءت فيها مشقة على النفس

(1) انبياء سومريون: خزعل الماجدي، ط/2 – 2019م.
(2) سورة البقرة: آية 23.

وحرج كما في القتال فأنه كتب على المؤمنين وهو كره لهم، وما تكرهه النفس لا يعني انه أمر سيء وضار لها بل ربما ان فيه خير كثير ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[1]، ولنتدبر هذا الفعل في اية أخرى كي نقوي من حجتنا في الاستنتاج القادم .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2].

لنتابع معاً:

- كُتِبَ عليكم الصيام...
- كُتِبَ عليكم القتال...
- كُتِبَ عليكم القصاص ...

كلها مفردات حال فعلها الماضي مبني للمجهول وتصاحبها مشقة على النفس الإنسانية وضيق في التطبيق وتحجج من بعض الناس وتقاعس عن أداء الواجب المطلوب منهم لأن النفس الإنسانية مجبولة

---

(1) سورة البقرة: آية 216.

(2) سورة البقرة: آية 178.

على التقاعس ويجب تربيتها على الطاعة لله والتقرب اليه من خلال الابتعاد عن الشيطان ومغرياته للناس من اجل اقعاد صراط الله المستقيم الذي أمرهم بالسير والسعي الحثيث لطلبه.

نتيجة: الصيام يسبب الحرج والضيق في تطبيقه من قبل الناس ولكنه خيرٌ لهم.



الصيام فيه خير للناس:

❖ سؤال: ما هو هذا الخير الذي يمكن استحصاله من خلال أداء الصيام؟!!

ستكون الإجابة عن هذه الأسئلة بالتدريج ومن اجل ان تكون لدى القارئ الكريم صورة مكتملة في ذهنه من اجل بناء عقيدة راسخة خالصة لله بشرط ان يكون الوعي المستقبل لهذا الكلام جاهزاً مسلّماً لله ناسياً موروثه محطماً اصنامه، او على الأقل يجعلهم جذاذاً[1] كما فعل إبراهيم الخليل ﴿عليه السلام﴾ من قبل، ان مفردة كُتِبَ الواردة في اية الصيام قد تفتح لنا افاقاً أخرى في البحث، فما هو الفرق بينها وبين قوله تعالى ﴿كتبنا﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2] أو ﴿كتب ربكم﴾ ، كقوله تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[3].

الجواب: ان التباين في المفردات سواء كانت حاوية على ضمائر جمع ﴿كتبنا﴾ او مفرد ﴿كتبته﴾ او إضافة ﴿كتب ربكم﴾ تغير من

(1) البدران: أسامة عبد الأمير: كتاب المائدة المستديرة: ص (154-155).
(2) سورة الانبياء: آية 105.
(3) سورة الانعام: آية 54.

مـدلولات هـذه المفردات، وهـذا ينطبق على مفردات اخرى في القران الكريم مثـل ﴿حُرِمَت﴾ و ﴿حَرّمنـا﴾ و ﴿حَرّمَ ربي﴾ وبـالأخص في كون هذه المفردات على تماس مباشر مع التشريع الإلهي، مما سبب الارباك في الآراء لدى العلماء والمختصـين في الجانب الفقهي وربما تطور هذا الارباك واصـبح عقيدة راسـخة في المجتمع لا يمكن التخلي عنهـا او اسـتئصـالها بالطرق التوعوية الاعتيادية الا من خلال القيام بثورة في المفاهيم وجعل الفرد المتلقي واعياً لخطر ركونه وخضـوعه لهذه الآراء الشخصية والتي لم ينزل الله بها من سلطان .

العدل الإلهي والخير المطلق:

ومـن خـلال الايمـان بمصـطلح العـدل الإلهـي المطلـق الـذي كتبـه الله علـى نفسـه حينمـا كتـب علـى نفسـه الرحمـة والتـي هـي وظيفـة شـاملة للعـدل فيمـا بـين جنباتهـا نسـتطيع الاسـتنتاج ان كـل مـا كتبـه الله علينـا هـو خيـر مطلـق، لا شر ولا سوء ولا مشقة فيـه وهـذا كـان قبـل الخـروج الادمـي مـن الجنـة، فكـل مفـردة دالـة علـى الـرب بالإضـافة فـي الأفعـال هـي مـن الله، وكـل مفـردة دالـة علـى الحـال المبنـي للمجهـول هـي جعـل وضـعي بسـبب مشـكلة اجتماعيـة صـادرة مـن الفعـل الإنسـاني، لجهلـه بمـا سـتؤول اليـه

الأمور من بعد فعلته هذه، قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

ومما لا شك فيه ان الله بعدالته كل ما يكتبه علينا هو مما لا يسبب المشقة وفيه رحمة قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [2].

وكل ما يصيب الانسان من مصائب ومشقة وابتلاء هو من عند نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[3].

اذن ما كتب علينا هو بفعل مشكلة نحن من سببها وعلينا حلها حتى وان سبب لنا الحل مشكلة وحرج ومشقة، ككتابة الوصية والقتال والصيام، وهذا يعني بطبيعة الحال ان الصيام لم يكن مكتوباً علينا منذ الازل وحتى القتال والقصاص والوصية وكل ما جاءت صيغته مبنية للمجهول كتحريم بعض الأطعمة.

---

(1) سورة الاحزاب: آية 72.

(2) سورة التوبة: آية 51.

(3) سورة الشورى: آية 30.

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(1).

وهذا التحريم جاء بعد ﴿ان كان حِلاً﴾ بالمطلق العام لقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (2).

❖ نتيجة:

1. كل آية ورد فيها الفعل بهذه الصيغة ﴿كتب ربكم﴾ هي تشريع ازلي.
2. كل آية ورد فيها الفعل بهذه الصيغة ﴿كُتِبَ﴾ هي تشريع مستحدث.

(1) سورة المائدة: آية 3.
(2) سورة آل عمران: آية 93.

الصيام حل للمشاكل الاجتماعية:

ولكي نفهم جيداً ان الله قد استحدث لنا الصيام بعد وقوعنا بالمصائب الدنيوية ومغريات الحياة الدنيا وزخرفها، فقد زُينَ للناسِ حُبُ الشهوات والبنين والبنات والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والمال والجاه والحسب والنسب، وكلها شكليات ظاهرية لا تغني عن الحساب والكتاب يوم المحشر، ولكي يقينا الله من كيد وحبائل الشيطان، فقد أمرنا بالصيام كما كتب على الذين من قبلنا، فمن هم الذين من قبلنا؟! ربما يجيب أحدهم علينا أن المقصود هم اهل الكتاب أصحاب الديانة الأشهر في العالم وهم اليهودية والنصرانية فقط!! ولكنني اجزم من خلال الاطلاع على آيات القرآن التي وردت فيها هذه المصطلحات أن الذين من قبلنا هم كل البشر السابقين لنا وكانت حياتهم منظمة بقانون ودستور، أي الاقوام التي تدون شرائعها وترتب حياتها وتنظم مجتمعها بقوانين سواء على الصعيد الوضعي ابتداءً بإسرائيل أم على الصعيد التشريعي من قبل الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[1].

(1) سورة البقرة: آية 213.

من هم المكلفين بالصيام؟!!

ولكننا نقف هنا امام معضلة توارثها القوم جيلاً تلو جيل دون تدبر، وربما أهملوها عن عمدٍ، الا وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

فإلى من قد وجه الله سبحانه وتعالى خطابه في هذه الآية والآيات الاخر المشتملة على لفظ ﴿الذين آمنوا﴾؟!

جواب مؤقت: الذين آمنوا هم الرجال من بني ادم الذين قد آمنوا بالله منذ خلق ادم الى يوم القيامة!!

سؤال: وماذا عن النساء أَلَسنَّ مشمولات بهذا الخطاب؟!

جواب: كلا الخطاب بالذين آمنوا لا يشمل النساء!!

هل النساء مكلفات بالصيام؟!!

أن هذه الجولة من الأسئلة والاجوبة تعتبر فرضية اثبات الضد في مناقشة اراء الموروث الشعبي، والذي نجد ان الذوق والرأي يقفز بين نصوص القرآن ويتحكم بمعانيه لأسقاط تشريعات لم ينزل الله بها من سلطان، فلقد خاطب الله الناس في آيات اخر من كتابه الكريم بهذه المفردة ولم يكن للنساء نصيب من هذا التشريع كما في قوله تعالى :

---

(1) سورة البقرة: آية 183.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1].

فقد اجتمعت اراء المذاهب الإسلامية بمختلف مسمياتها والتي انأى عن ذكرها هنا على ان النساء مخيراتٌ في الحضور الى صلاة الجمعة وليس واجباً عليهن الحضور انما هو فعل طوعي اختياري!!! وأن الفتاوى الصريحة للعلماء [2] الاجلاء أن المرأة تصلي الجمعة في بيتها!! وان المتابع للنص بصورته الواسعة يجد ان الخطاب كله جاء للرجال ولم يشمل النساء بما فيه قوله ﴿فأسعوا الى ذكر الله﴾ ولم يقل ﴿فأسعين الى ذكر الله﴾ باستخدام ضمائر المؤنث كما جاء في الخطاب الخاص للمؤمنات في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[3].

(1) سورة الجمعة: آية (9 – 11).

(2)من خلال مراجعة فتاوى العلماء للمذاهب الأربعة للسنة والجماعة والمذهب الجعفري وجدنا ان اغلب علماء وفقهاء هذه المذاهب الدينية لا يجوزون صلاة الجمعة للنساء بل ان بعضهم يعتبر حضور المرأة لصلاة الجمعة ان كانت حسناء مكروه وان كانت قبيحة مستحب مثل الحنابلة! وأي مقياس هذا للعبادة بحيث لم يراعي مشاعر كون الامرأة انسان قبل كل شيء.

(3) سورة الاحزاب: آية 31.

والضمير المذكر كان حاضراً بجانب فعل الرجال الشائع من التجارة والتواجد في السوق واللهو، ولا اعتقد ان نساء ذلك الزمن كنَّ يمارسنَّ اللهو في الأسواق الإسلامية في مهد مدينة الرسول والإسلام المحمدي الأصيل وبوجود صحابة اجلاء وأسواق إسلامية بحتة!! فلماذا يا ترى كانت صلاة الجمعة غير واجبة على النساء وكان الصيام واجبا عليهن بحسب اراء العلماء الاجلاء من المختصين في الفقه والتشريع والتفسير والتأويل؟!! وهل يمكن ان يفسر القرآن بغير اتباع الأساليب العلمية والقواعد اللغوية الرصينة والمعمول بها في كل آيات القرآن الكريم بحسب ما خطه الله للناس في كتابه والذي يعتبر أساس لهذه اللغة الجديدة والتي أطلق الله عليها ﴿اللسان العربي المبين﴾ والذي لم يكن معمولاً به وبقواعده حينما نزل القرآن؟! ولهذا فأن القرآن يعتبر الأصل لكل قواعد اللغة العربية، وكل قاعدة إن شذت يتم تقويمها على أساس آيات الذكر الحكيم، لنتدبر ونتمعن في النص من جديد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(1)، والنتيجة المتوخاة من تدبر هذا النص هي:

1. كُتِبَ الصيام على الذين آمنوا فقط.
2. الذين امنوا جملة مشتملة على الرجال فقط.
3. النساء صيامهن تطوع وليس واجب.

(1) سورة البقرة: آية 183.

ضمائر الإشارة لجمع النسوة في القرآن:

ولكي يكون استنتاجنا منطقياً ومستساغاً أكثر من قبل المجتمع نطرح السؤال التالي: ما هي صيغة ﴿الذين امنوا﴾ بحسب ما ورد في آيات الله للجمع المؤنث؟!

من الطبيعي أن يكون الجواب بحسب ما يرد في الذهن فوراً من استحضار للمفردات بقولنا ﴿اللاتي آمنَّ﴾ هي صيغة جمع المؤنث!! ولكن هل توجد هكذا مفردة في القرآن أم لا؟!!

حينما بحثت في القرآن وجدت النصوص التي تتحدث عن النساء المؤمنات كالتالي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[1].

ولا يمكن بحال من الأحوال ان تكون مفردة ﴿الذين آمنوا﴾ مشتملة في جنباتها إشارة الى ﴿المؤمنات﴾ فقد فرق الله بين تينك المصطلحات بصورة واضحة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ

(1) سورة الاحزاب: آية 49.

حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(1).

ويمكن الاستنتاج ان لفظ ﴿الذين امنوا﴾ للرجال يقابله ﴿المؤمنات﴾ للنساء، وقولنا ﴿اللاتي آمنَّ﴾ عنهن في الاصطلاح هو ليس من القرآن انما هو لفظ اصطلاحي مستحدث، وبما أن الذين آمنوا في الآية القرآنية السابقة هم من يقومون بفعل ﴿النكاح﴾ للمؤمنات فمن المستبعد على اغلب الظن ان تكون المؤمنات تندرج من ضمن لفظ ﴿الذين امنوا﴾ فهي لفظة مختصة بالرجال فقط!!

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(2)، هو خطاب مختص بالرجال الذين امنوا ولا يشتمل على النساء حتى وان كُنَّ مؤمنات، فالنداء جاء بضمير مذكر ولا علاقة للنعت ﴿الايمان﴾ في تحديد جنس المخاطب!! وكذلك يمكن فهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ

(1) سورة الممتحنة: آية 10.
(2) سورة البقرة: آية 183.

مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، بصورتها الاوسع على انها خطاب للرجال من الذين امنوا فقط!!

الاختلاف الفقهي في النص المتشابه:

ولكن لو سألنا أي شخص نقابله بهذا الخصوص لماذا اختلف التشريع الذي جاء به الفقهاء والعلماء لنفس النص ونفس اللفظ ولكنه مختلف الحكم؟!! لا نجد جواباً منطقياً مقنعاً، ويبدؤون الاستدلال بمجموعة من الأحاديث والروايات التي تدعم حجتهم واستنباطهم غافلين عن انهم أي العلماء اجلهم الله يخالفون ما جاء في القرآن بحجة ان الرواية هي من جعلت الحكم مختلفاً!! ولكن هل جعل الله الروايات حجة علينا ام أن كتابه هو الحجة؟!! وهل من الراجح عقلاً ومنطقاً أن نخالف ما جاء في كتاب الله فقط لأن هؤلاء الاجلاء يخوفون عامة الناس من خطورة التدبر في القرآن والبحث فيه، أو لأن الله قد عهد القرآن لمجموعة خاصة فقط لا يسمح لغيرهم بتدبره وانه من الأمور المحرمة أن يفكر الانسان او يتفكر في أي معنى من معانيه فقط لأنه قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾[2]، وأصبح الاشكال في علامة الوقف بعد هذه الآية فاذا توقفنا أصبح التأويل حكراً عند الله وإذا

---

(1) سورة الجمعة: آية 9.

(2) سورة آل عمران: آية 7.

استمرينا بالقراءة أصبحت الآية كالتالي: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1]، فأصبح الله واهل البيت[2] عند المذهب الشيعي[3] هم فقط من يحيطون بما في آيات الله علماً!! مع العلم ان القرآن الكريم جاء بلغة عربية وبلسان عربي مبين وفصلت آياته تفصيلاً وامرنا الله في أكثر من اية بتدبره، فكيف نتدبره يا ترى وهو حكر على فئة معينة من الناس؟!! وقال اهل السنة بمذاهبهم [4]، ان العلماء فقط

---

(1) سورة آل عمران: آية 7.

(2) تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ج 3 /الصفحة 55

(3) هل يعلم تأويل القرآن غير الله سبحانه؟ هذه المسألة أيضا من موارد الخلاف الشديد بين المفسرين ومنشأه الخلاف الواقع بينهم في تفسير قوله تعالى: والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا الآية وأن الواو هل هو للعطف أو للاستيناف فذهب بعض القدماء والشافعية ومعظم المفسرين من الشيعة إلى أن الواو للعطف وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه من القرآن وذهب معظم القدماء والحنفية من أهل السنة إلى أنه للاستيناف وأنه لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله وهو مما استأثر الله سبحانه بعلمه وقد استدلت الطائفة الأولى على مذهبها بوجوه كثيرة وببعض الروايات والطائفة الثانية بوجوه اخر وعدة من الروايات الواردة في أن تأويل المتشابهات مما استأثر الله سبحانه بعلمه وتمادت كل طائفة في مناقضة صاحبتها والمعارضة مع حججها، الميزان في تفسير القرآن: الطبطبائي.

(4)قوله تعالى: والراسخون في العلم اختلف العلماء في والراسخون في العلم هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع. فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله إلا الله هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد وغيرهم. قال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة. وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم آمنا به كل من عند ربنا. وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس، ويقولون على هذا خبر الراسخون .(

هم من لهم الحق بإخراج التفاسير ولا يحق للعامة التدبر فيه!! أي نرجع للمربع الأول لكل المذاهب، اما ان تقلع عن تدبر القرآن واما ان تأخذه من منابعه الاصـــلية بحســب تعبيرهم، وان كانت تلك المنابع تخالف

قال الخطابي: وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به والتصديق بما فيه قسمين: محكما ومتشابها، فقال عز من قائل: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . . . إلى قوله: كل من عند ربنا فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله عز وجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به. ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه. ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به. وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة. وإنما روي عن مجاهد أنه نسق الراسخون على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه. واحتج له بعض أهل اللغة فقال: معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا، وزعم أن موضع يقولون نصب على الحال. وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه ; لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال. ولو جاز ذلك لجاز أن يقال: عبد الله راكبا، بمعنى أقبل عبد الله راكبا ; وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله: عبد الله يتكلم يصلح بين الناس، فكان)يصلح (حالا، كقول الشاعر – أنشدنيه أبو عمر قال أنشدنا أبو العباس ثعلب:–

أرسلت فيها قطما لكالكا يقصر يمشي ويطول باركا

أي يقصر ماشيا، فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده. وأيضا فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه شيئا عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك. ألا ترى قوله عز وجل: قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وقوله: لا يجليها لوقتها إلا هو وقوله: كل شيء هالك إلا وجهه فكان هذا كله مما استأثر الله سبحانه بعلمه لا يشركه فيه غيره. وكذلك قوله تبارك وتعالى: وما يعلم تأويله إلا الله. ولو كانت الواو في قوله: والراسخون للنسق لم يكن لقوله: كل من عند ربنا فائدة، والله أعلم، تفسير القرطبي.

في حكمها ما جاء في كتاب الله كما رأيتم في تدبرنا السابق للآيات القرآنية!! وان قمنا بتغير علامة الوقف في الآية السابقة تصبح كالتالي:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. ﴾(1).

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(2).

والعجيب ان هؤلاء تارة يسكتون عن التفسير ولا يخرجون عنه شيء بحجة عدم توفر الأدلة وتارة ان امسكوا بحديث معين يدعمه اراء علماء تجدهم فرحين بما لديهم ويخرجون لنا المجلدات تلو المجلدات ويقولون هذا مما علمنا الله، غافلين في كتبهم تلك عن مفارقات خطيرة كما رأيتم أعزاءي، بل بعض الأحيان تجدهم يتركون الرواية وتخرج كتاباتهم وآرائهم بغض النظر عن قول الصحابي والامام ، ولست ادري ما هو معيار رتبة المفسر لديهم ، وكيف يمكن للمفسر ان يخرج من دائرة الشك والاتهام بأنه لم يركن لآراء الروايات والروائيين انفسهم ، مع العلم أنه لو تفكرنا قليلا في كون الرواية مفسرة لنص قرآني معين فهذا يجعل من الرواية بمكان سد النقص عن تلك الآية نفسها ، فقد عجزت الآية عن الدخول الى لب وعقل البشر فجاءت الرواية مفسرة لما عجزت عنه الآية، ونسبة العجز للآية

---

(1) سورة آل عمران: آية 7.

(2) سورة آل عمران: آية 7.

يعنـي ان تنسـب العجـز لله وحاشـا لله مـن الـنقص والتقصـير انمـا هـو مـرض فـي قلـوب الكهنـة وحـب للجـاه والسـلطة والـتحكم بعقـول عـوام النـاس وقيـادتهم بالباطـل والجهـل والتخلـف الفكري.

صيام النساء تطوع وليس واجب:

ان اقسـام هـذا المبحـث التـي مـرت علينـا قادتنـا الـى نتيجـة مفادهـا أن الصـيام فعـل طـوعي ولـيس فـرض علـى النسـاء، ولا يترتـب عليـه عقوبـة أن لـم تـأتي النسـاء بـه فـي شـهر رمضـان وأن تطـوعن لأدائـه يجـزيهن الله اجـراً عظيمـاً، ولكـي نستحضـر هـذا الاستنتاج في اذهاننا لنتابع النص من جديد ونتدبره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(1).

(1) سورة البقرة: آية (183-184).

ولمن يتدبر هذا النص جيداً سيتوصل تلقائياً الى ان الضمائر المستخدمة في المفردات هي خاصة ﴿بالذكور﴾ من الرجال ولا تدخل مفردة ﴿النساء﴾ في تعبيرها، كقوله ﴿له، منكم، لكم﴾ وان الضمائر التي تخص النساء وردت في كلام الله حينما كان الخطاب موجه للمؤمنات في قوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا(29) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(1).

ومن الواضح جدا ان الضمائر التي تخاطب النساء جاءت منفصلة ومختلفة عن الضمائر التي تخاطب الرجال كقوله ﴿منكنَّ، لهنَّ، عليهنَّ، كنَّ﴾.

هل الذين يطيقونه تعني لا يطيقونه؟!:

وقد وردت جملة معينة في هذا النص الخاص بالصيام قد كثرت حولها الشبهات وتباينت الآراء وهي ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ

(1) سورة الاحزاب: آية (29-30).

طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[1]، فماذا يعني قوله تعالى ﴿يطيقونه﴾؟! ومن هم هؤلاء الذين يطيقون الصيام ولا يصومون؟!!

انا لا اريد ان أكون ممن يهاجم مناهج السلف ويطلق عليهم الاحكام فأمثل دور القاضي والجلاد في نفس الوقت، فالزمن كفيل بأن يكشف المجتمع الزيف الذي تم وضعه لهذه الامة على مدى 1400 عام منصرم، ولهذا سوف لن استعرض تلك الآراء هنا وعلى من يرغب البحث عنها سيجد المنتديات والمواقع والكتب منتشرة بكثرة لضمان قولبة المجتمع وبقاءه على الموروث، والذي تُصرف على ادامته خزينة أموال المسلمين التي هي حق من حقوق الايتام والفقراء والمساكين والارامل، فقوله تعالى ﴿يطيقونه﴾ لا تعني بأي حال من الأحوال ﴿لا يطيقونه﴾ !! والذي يطيق الشيء يستطيع ان يفعله، ولكنه يتميز بخصوصية مختلفة عن الباقين، ولهذا جعل الله له فدية ﴿طعام مساكين﴾ عوضاً عن صيامه، فطياق الشيء جاء من كلمة طاقة، والطاقة هي القدرة على فعل الجهد مع توفر المؤن للتزود، وهذا التعبير عن الاسم قد يكون لغوي ويحمل معنى فيزيائي تطبيقي ﴿Energy﴾ ، والمؤن هي التي توفر الطاقة اللازمة للقيام بالفعل سواء كان من قبل الانسان أم باقي الكائنات، ام الظواهر الطبيعية والآلات ، ولهذا قد يجد القارئ اختلافاً بالتعريف أن هو بحث عنه في محرك البحث، لأنني وضعته

(1) سورة البقرة: آية 184.

بحسب رأيي الشخصي مقروناً بمجموع التعاريف المتوفرة لأسم ﴿طاقة﴾ ومن هذه المفردة انبثقت عدة تصـاريف للفعل ﴿طاق﴾ منها ﴿طاقَ، طِق، يطيق، طوق، طاقة، نطاق، يطوقون، طياق، مطاق﴾ وبعض هذه المفردات مذكورة في آيات الله كقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

التباين ما بين الطاقة والاستطاعة:

ومن خلال قراءتنا للنص السابق نستنتج أن مفردة ﴿طاقة﴾يصاحبها جهد وحرج على النفس ولهذا قالوا ﴿لا طاقة لنا﴾، أي لا توجد لدينا قدرة على بذل جهد لدفع هذا الضـرر العظيم الذي حل علينا من كثرة الجند وقوتهم وبأسـهم، اذن[2] هي مشـتملة على القدرة على الاتيان بالفعل مع الجهد والحرج والمشـقة، ومفردة الاسـتطاعة مختلفة عن

(1) سورة البقرة: آية 249.

(2) وردت مفردة (اذن) في القرآن الكريم بتشكيل مختلف كما في قوله تعالى (ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك اذاً لمن الظالمين) وتباينت اراء اللغويين في طريقة كتابتها ولكن لكي يتم تمييزها عن (إذا) فنكتبها بالنون وليس بالألف والتنوين للفتح.

مفردة الطاقة، فعدم الاستطاعة يكون لوجود مانع قهري لا يمكن معه الاتيان بالفعل حتى مع بذل الجهد والسعي الحثيث للقيام به مع توفر المؤن للقيام بالفعل والتزود، مثل الشخص المشلول فهو لا يستطيع المشي لقاهر عنده ﴿ وهو مرض الشلل﴾، بحيث لا يستطيع الاتيان بفعل المشي ﴿سيراً على الاقدام﴾ حتى مع بذل الجهد والمشقة واستخدام الوسائل المساعدة ، اذن الذي يطيق أداء الفعل هو من يقدر على الاتيان به مع حصول مشقة وهو مخير بترك الفعل مع الاتيان بفدية ﴿ طعام مساكين﴾ وليس عليه القضاء بحسب ماورد في النص السابق، وأكرر هنا ان هذا الاستنتاج ليس تشريعاً ولا فقهاً ولا يعدوا كونه رأي شخصي اقرب للظن، ولا يمكن التعبد به ومن يتخذه تشريعاً فهو ملزمٌ به وانا ابرء ذمتي منه بعد تكرار التحذير عدة مرات .

الدراسات والآراء المشابهة لهذا البحث:

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور رشيد سليم(1) الأستاذ المختص في اللغات في جامعة اليرموك يذكر ان اهل الأردن يطلقون كلمة ﴿طاقة﴾ على النافذة العلوية في منازلهم الشعبية، والتي كلما ارتفعت قلت فتحتها ويحاول ان يشبه بين فعل الخروج من الباب الميسر والخروج من تلك النافذة الضيقة والذي يمكن

(1) الدكتور رشيد سليم الجراح، أستاذ اللغات والمختص بعلوم اللغة العربية والالسن والاصوات في جامعة اليرموك الأردنية.

فعله إذا اجتهد من ينوي ذلك ولكن مع بذل الجهد والمشقة، وهو نفس المعنى الذي أورده في معنى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾[1]، والتي نسخها الرواة واهل الدراية بأحاديثهم وباستدلالهم لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[2]، والدكتور رشيد[3] لديه اراء مقبولة بهذا الشأن ومفصلة اكثر مما نحاول استعراضه هنا ، وربما قد اطلع بعضكم عليها ، كما قد اطلع على اراء عالم سبيط النيلي واحمد هاشم السامرائي الذي يستدل بآرائه اللغوية الدكتور رشيد سليم احياناً او ربما الكيالي والشحرور ومحمد المسيح وفاضل الربيعي،

(1) سورة البقرة: آية 184.

(2) سورة البقرة: آية 185.

(3) اعتمدت في كثير من مفاصل هذا البحث على اراء كتاب مختصين بالشأن اللغوي وتفكيك النص القرآني مثل الدكتور رشيد الجراح الأستاذ في جامعة اليرموك بقسم اللغة الإنجليزية ومركز اللغات والمذكرين معه في التدبر القرآني سواء من خلال ما يطرحه في موقعه الشخصي ام مواقع التواصل الاجتماعي، في حين انني اختلف معه في بعض الآراء القرآنية بسبب رؤيتي الخاصة والتي لها مصادر متعددة سواء كان يعتمد عليها الدكتور رشيد أم لا مثل اراء الشيخ الدكتور احمد الكبيسي والدكتور احمد هاشم احمد السامرائي المختص باللغات واللسانيات وعضو المجمع العالمي للغة العربية، في حين انني أؤكد للقراء الأعزاء انني اهملت اراء معاصرة أخرى لباحثين مشهورين مثل المهندس محمد الشحرور والمهندس علي منصور الكيالي والمهندس سبيط النيلي وغيرهم كما انني لم اعتمد على مناهجهم في أي حرف كتبته في هذا البحث لذا اقتضى التنويه.

وغيرهم ممن فتحوا باب التدبر والتفسير والبحث التاريخي على مصراعيه لا ظهار الحقائق المغيبة ، ومن يقرأ كلماتي هذه قد يجد نتائج متشابهة بين ما توصل اليه الكتّاب والباحثين رغم عدم تأثري الكامل بها، بل هناك خروج عن السياق انتهجه في الاستدلال بعض الأحيان كما في مفردة ﴿التوراة﴾ وجذرها اللغوي والتي قد أحدثت جدلاً بين المتابعين لما ندلي به من اراء، وحتى قضية اعجمية لوط[1] التي افتراها اللغويون والنحويون بحجة قاعدة ﴿الممنوع من الصرف﴾ والتي ذكرناه في الفصل الأول من كتابنا الموسوم بـ ﴿المائدة المستديرة﴾ .

اقسام المكلفين بالصيام بحسب النص القرآني:

وعوداً على بدء، فقولنا إن من يطيق الشيء يستطيع اداءه ولكن يسبب له المشقة يعني أن ﴿الذين يطيقونه﴾ يستطيعون أداء الصيام مع حصول المشقة، ونستطيع اتباع التقسيم التالي لتمييز المكلفين بالصيام:

1- الذين يستطيعون أداء الصيام دون حصول مشقة وحرج.

2- الذين يستطيعون أداء الصيام مع حصول مشقة وحرج ﴿وهم الذين يطيقونه﴾.

(1) المائدة المستديرة: ص15.

3- الذي لا يستطيعون أداء الصيام مطلقاً لمانع فسيولوجي ومرض يمنعه من أداء كل أنواع الصيام كالمريض بالقرحة في المعدة وغيرها، او مانع اجتماعي وهم يصنفون انهم ﴿لا يستطيعون اداءه﴾.

4- الذين ﴿لا يطيقون الصيام﴾ لمانع متعلق بأداء الجهد المبذول يكون أكبر من طاقتهم، وهم الأطفال والذين لم يبلغوا الحلم، ولا يشمل الصبي المميز بهذا التصنيف، ومنهم من يعتبر الصيام بالنسبة اليه مهلكة أن هو بذل الجهد لأدائه ولكن ان قام به يتضح لديه ان اعتقاده كان غير صحيح، وهم يتشابهون في التصنيف مع الطفل، وقد ذكر الله تعالى في قضية طالوت هذه الشريحة.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (1).

وقد يجد المتدبر للنص الذي يذكر أصحاب طالوت أن اغلب قراراتهم مبنية على الظن وكما تعلمون أعزاءي ان ﴿الظن لا يغني من

(1) سورة البقرة: آية 249.

الحق شيئا﴾ ولكن على الرغم من هذا فهم حصلوا على تأييد الله لهم وثبت اقدامهم وانتصـــروا بأمر الله وكانت طاقتهم التي ايدهم الله بها كفيلة بدحر جند جالوت الذين تكاثروا عليهم وقد مكّن الله الصـــابر الحكيم داود ﴿عليه السلام﴾ من قتل جالوت الطاغي.

من هم الذين يطيقون الصيام؟!

وقد يتبادر الى الذهن سؤالٌ مهم، وهو من هم الذين ﴿يطيقون﴾ الصيام بحيث يستطيعون اداءه ولكن يشق عليهم فعله؟!!

وهذا السؤال مهمٌ جداً وقد لمسناه في مجتمعنا الحالي في الكسبة وأصحاب المهن التي يرافقها جهد بدني وتحمل لحرارة الجو والظروف، مثل عمال النظافة، والمهنيين، والحرفيين، والمعماريين الذين يعملون في مواقع انشاء وبناء ، وفي السوق، ولم يكن عملهم عبارة عن وظائف في بنايات مكيفة ومبردة وفيها كل وســائل الراحة، ولا اخفيكم القول ان من أســباب انحراف المجتمع وابناءه عن الدين الحنيف وقواعده الاصـــيلة هو العلماء الاجلاء الذين اهملوا هذا الجانب الرحيم في آيات الله، والذي يراعي فيه كل طبقات المجتمع، فقد نأى الكثير من المسلمين الكسبة، والحرفيين، بأنفسهم عن شعيرة الصيام بسبب الفتاوى التي ســببت لهم الحرج الاجتماعي مع عدم توفر البديل، بل ان من يقوم بالإفطار وهو مجتهد في عمله يتعرض للســخرية الاجتماعية في البلدان الإســلامية وبالأخص العربية منها، بحيث اصــبح الصـــيام

سـباقا للتحمل والقدرة، مما يسـبب الحرج الواضـح والاجهاد التراكمي والذي بحسب ظني هو من اهم الأسباب التي جعلت شريحة واسعة من المجتمع لا تقتنع عقائديا بهذا التشـريع الغير منصـف لهم، في حين ان صـريح القرآن الكريم وآيـاتـه تقول ﴿وعلى الـذين يطيقونـه﴾، أي يستطيعون اداءه ولكن يسبب لهم الجهد والمشقة لتزامنه مع أعمالهم التي تصـب في اسـتمرار دوران عجلة المجتمع، وتوفير العيش الرغيد لعوائلهم، ويقدمون خدمات لباقي الناس، فهؤلاء ليس عليهم الصـيام بل عليهم دفع جزء يسـير من قوتهم بما يشـبع بضـعة مساكين كحالة صـحية من التكافل الاجتماعي واللحمة بين أبناء المجتمع الواحد التي قد وضـع أسـاسـها الله سـبحانه وتعالى مصـداقا لمسـتقبل ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ والتي أصـبحت في ليلة وضـحاها ﴿اسـوء الأمم﴾ في تاريخ الأديان الابراهيمية.

الفصل الثاني

ثورة في مفاهيم فقهية

اعتقد ان الفصل الأول من هذا الكتاب قد أيقظ في عقول القراء الكرام عملاقاً راقداً منذ مدة، فالبعض لا يستطيع أن ينفض تراث الموروث والكتب التي عكف على مدارستها وقراءتها خلال سنين حياته المنصرمة، ولهذا فأن دعوة كهذه تصدر من عبدٍ ذليلٍ مثلي لا يتشح بعمةٍ سوداء ولا يتلقب بالقاب اكاديمية لا يعلم أصحابها مغزاها الأصلي الذي اخترعت لأجله، بل اكاد اجزم ان اغلب الأكاديميين لم يمسكوا بقلم رصاص منذ فترة التسعينيات هذا ان صدق عليهم العمر الذي اقصده بتعبيري هذا، وينسون أن هذا القلم هو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]، وقد علَّمَ اللّٰه جل وعلا كل البشر بهذا القلم سواء يحتاج لمادة ﴿مدّه﴾ او تكون هذه المادة من سنخهِ المبارك، كقلمي الرصاص الذي يكاد يتفطر من حرارة الاحتكاك بالوريقات الخشنة والتي طالما خربشت به عليها، وقد انأى بذكر بعض الألقاب الدينية

(1) سورة لقمان: آية 27.

التـي تعـودتم علـى سـماعها منـي كـي لا أمـس مشـاعر الاخـوة ممـن يجلّون ويقدّسون اللّقب وصاحبه ورداءه المطرز.

كيف يشهد الفرد المكلف الشهر؟!!

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[1].

شَهِدَ: فعل ماضٍ.

❖ نتيجة مؤقتة: لا يمكن تحقق شـهادة الشـهر القمري بحسـب الفهم السائد الا بعد ان ينتهي الشهر كله، فيقال بلسان العرب أن الشخص ﴿شَهِدَ الشهر﴾ بالحال الماضي لفعل الشهادة!!

أذن قوله تعالى: ﴿فمن شـهد منكم﴾ دلالة على الفعل الماضـي للشـهر، فكيف نميز الخطاب الإلهي في هـذه الآيـة؟!! وان كـان من يشهد الشهر قد انفلت الشهر منه، فكيف يقوم بفعل صيامه؟!!

كقولنا فمن ذهب منه المال فلينفقه؟!!

قوموا بالاحتفاظ بهذه الجملة في اذهانكم او اكتبوها بقصـاصـة ملونة صـغيرة وعلقوها على أقرب مكان تكثرون فيه التأمل ﴿مرآة أو دولاب أو ثلاجة... الخ﴾

---

(1) سورة البقرة: آية 185.

ان وضــع الحـل لهـذا الاشــكـال الـذي لم نجـد لـه جواباً مقـدمـاً من المتصـدين لتدبر القرآن كي يكون سـهلاً مسـتسـاغاً من قبل المجتمعات المتعاقبة، ولمن لاحظ بعض الردود على هذا المبحث حينما كان منشوراً في مواقع التواصل الاجتماعي على شكل حلقات مجزأة، والتي صعدت فيها نبرة الكلام واسـتخدم أصـحابها فيها مصـطلحات بلاغية معقدة تجعل قارئها ينفر منها، فأن أغلب المتمسـكين بالأجوبة التقليدية قد ينعتنا بالجهل العظيم والكفر الشديد فقط لأننا لم نسلم هذه الجمجمة لهم ولموروثهم المتواتر.

الشهر الشمسي والقمري من منظار جديد:

ويمكن ان نجد الحل في قوله الحق تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].

---

(1) سورة القلم: آية 5.

حيث أن المتدبر لهذا النص يلاحظ أن الله قد حدد موعد أول شهر الصيام هو ليلة الصيام، أي من بعد مغيب الشمس ﴿صلاة العشاءين﴾ وابتداء الليل، وقد ذكرنا في مباحثنا السابقة ان اليوم الذي تغرب وتشرق به الشمس خلال أربعة وعشرين ساعة ﴿23.56﴾ [1] في اليوم والليلة يسمى ﴿شهرا شمسياً﴾ في القرآن الكريم؟!!

نعم أعزاءي، الشهر الشمسي هو اشهار الشمس لنفسها في دورة يومية من بعد مغربها وشروقها، فاليوم هو ﴿شهر شمسي﴾ والشهر القمري يساوي ثلاثون ﴿شهراً شمسياً﴾ كمعدل احتساب منازل القمر من

(1) تدورالأرض حول نفسها من الغرب إلى الشّرق (عكسُ الاتّجاه الظاهريّ لدوران السّماء)، وتبلغ سرعة دوران الأرض 1,674.66 كيلومتر في السّاعة، وهي سرعة كبيرة جداً؛ فعندَ تحويلها إلى عدَّاد الثواني ستبلغُ 465 متراً/ثانية، وهي بذلك أكبرُ بدرجةٍ واضحةٍ من سُرعة الصّوت التي لا تتعدّى 335 م/ث في هواء الأرض. وبهذه السّرعة تحتاجُ الأرض 23 ساعة و56 دقيقة بالضَّبطُ لتدور مرَّة واحدة حول محورها، إلا أنَّ جميع ساعات حساب الوقت تقريباً تَحسبُ مدّة اليوم على أنَّها 24 ساعة تماماً، والسَّببُ في ذلك أن الشّمس تحتاجُ لـــ 24 ساعة حتى تعود إلى الموضع الذي كانت موجودة به في السّماء أثناء اليوم السّابق، وهذه نتيجةٌ لحركة الشّمس في السّماء؛ فالشّمس لا تبقى ثابتةً في نُقطة واحدةٍ من السّماء، بل موقعها يتغيّر بالنّسبة للنّجوم والكواكب بصُورةٍ مُستمرّة. هذا الفرقُ البسيط يعني أنَّ جميع ساعات العالم تتأخَّرُ أربع دقائق كلَّ يوم، وستّ ساعاتٍ تقريباً كلّ عام، ولتعويض هذا النقص تتمُّ إضافة يومٍ كامل جديد إلى التّقويم الميلادي مرَّة كلّ أربع سنوات، ويكون هذا اليوم في آخر شهر فبراير (شباط)، وتُعرَف السّنة التي يُضَاف إليها بالسَّنة الكبيسة، راجع: The Rotating Earth", Educational Web Sites on Astronomy, Physics, Spaceflight and the Earth's Magnetism, Retrieved 08-11-2016.

ملاحظة/ يمكن استعارة جملة دوران الأرض حول محورها واستخدامها في المصطلح القرآني (تعاقب الليل والنهار) وسواء عندنا ان الأرض ثابتة لا تدور من كونها متحركة فأن النتيجة عندنا واحدة وهي ان الليل والنهار لحين عودة الشمس لموضعها لا يساوي (24) ساعة كاملة بل أقل، وكان في القرن التاسع عشر اقل من هذا وهكذا كلما توغلنا في الماضي تقل هذه الدرجة بنسبة طفيفة.

خلال دورته في السـماء وهو بحدود ثلاثين يوماً يظهر فيها الهلال من بعد غياب، أي يُشهِر نفسه بمنازله القمرية حتى عاد كالعرجون القديم.

❖ اذن الشهر الشمسي = 24 ساعة ﴿23.56﴾.

❖ الشهر القمري = 30 يوماً ﴿شهراً قمرياً﴾ .

التطبيق العملي لشهادة الشهر

❖ سؤال: ماذا ينفع هذا الكلام في تبيان قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [1]؟!!

الجواب: أن شهادة الشهر هنا تعني ان يشهد الرجل المؤمن المكلف بالصـوم﴿تطوع الزامي﴾[2] Mandatory Volunteering اول يوم من أيام شهر الصيام ﴿ شهر رمضان﴾ وهو يبدأ من مغيب الشمس ﴿ ليلة الصيام﴾ يقبل على الصوم ومباح له الاكل والشرب والرفث الى النساء حتى يتبين له ﴿الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾، فيمسك عن الطعام الى أن يتم الصيام الى الليل ويشهد اليوم الثاني من أيام

(1) سورة البقرة: الآية 185.

(2) يرى الكاتب بأن فعل الصيام إذا خرج من (الوجوب) الى (التطوع) فهو سيصبح في خانة (التطوع الالزامي) بسبب الموانع الاجتماعية والمحاذير الدينية والتشريعية وحتى الصحية من ترك هذه الشعيرة التي يواظب عليها المجتمع المسلم، فالفرد المكلف حتى لو تطوع بإرادته لأدائه فأنه سيبقى محكوما بالعادات والتقاليد ملزما بالصيام مقيدا بحريته وتطوعه هذا.

الشهر الفضيل ﴿الشهر الشمسي الثاني﴾، وبما أن شهر رمضان يعتبر من الأشــهر الكريمة عند الله بحيث انزل فيه القرآن على قلب النبي محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فلا يمكن أن يكون الاختلاف في عدد أيامه مستساغاً عند اولي الالباب، وهو شهر قمري كامل العدة ﴿30﴾ يوماً لا نقص فيه، وليلة القدر هي جزء من هذا الشهر وهي خير من ألف ﴿ شهرٍ شمسي﴾ من اشــهر الصــيام التي تبدأ من وقت الغروب حتى ثاني يوم الغروب لتكمل دورة ﴿23.56﴾ ســاعة بالتمام والكمال، قال تعالى: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ على قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾[1]، وقصة موسى ﴿عليه السلام﴾ ولقاءه مع ربه في الوادي المقدس تبين لنا فترة الصــيام التي قضاها قبل اللقاء، قال تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2]، وهنا قد جاء موسى على قَدَرٍ وقال تعالى لمحمد: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[3]، هي نفسها تلك الليلة المباركة التي وصفها الله، ويمكننا ان نستعير بعض

(1) سورة طه: آية 40.

(2) سورة الاعراف: آية 142.

(1) سورة القدر: آية 1.

المفردات في هذه الآية كقوله: ﴿ وأَتْمَمْنَاهَا ﴾، لنستفيد منها في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (1)، أي دخول الليل الصادق بحسب العرف أنه ليل وليس فترة المغرب، فلا يتم الصوم الا بدخول الليل كما قال: ﴿ وأَتْمَمْنَاهَا ﴾، ثم قال: ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ ﴾، ولاحظ أن الحساب جاء بالليلة وليس باليوم وهذا ما ذكرناه سابقاً حول بداية وقت يوم الصوم من اول الليلة بعد غروب الشمس .

الخوض في مسائل التشريع مقدمة لثورة المفاهيم

أن مرورنا باختصار على مجموعة من المفردات المتعلقة بالصيام وفي شهر رمضان المبارك على الرغم من عدم الرغبة الفعلية للخوض بهذا المضمار كي لا يحصل المحذور لدى البعض، وهو الخلط في مفاهيم الصيام ما بين المتشرعة وما نقوله في مباحثنا، ولكن مع شديد الأسف قد وقع المحذور كما هو واضح في الردود عليه في مواقع التواصل الاجتماعي، ولهذا فأن هذا المبحث عنوانه ﴿ثورة المفاهيم﴾ ولا علاقة له بشعيرة الصوم التي يقوم بها عامة الناس، ولكن لطلب الجمهور الخوض في تفاصيل هذه الشعيرة ، قد بدأنا هذه الفصول بما سأل عنه الاخوة الأعزاء من المؤمنين والمؤمنات، جزاهم الله خيراً، وفي

(2) سورة البقرة: آية 187.

الفصول القادمة سندخل في مفاهيم نبتعد فيها عن الجانب التشريعي، وسنحاول فتح أبواب جديدة تنفع أكثر لمستقبل الفرد الراغب بالتقرب من الله وكلامه الحق في كتابه الكريم القرآن، وكلمحة مستقبلية على هذا الامر فأننا نقرأ في القرآن مثلاً اية ورد فيها: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [(1)]، ونثير تساؤلاً مشروعاً حولها مفاده ان لماذا لم يقل: ﴿وأوصاني بالصيام﴾؟!! ولماذا لم تأتي صيغة الآية كالتالي: ﴿وأوصاني بالحج﴾؟!! اين الامر الإلهي بكتابة الصيام وتشريع الحج للنساء بحيث ورد قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[(2)]، دون ذكر باقي أركان الإسلام الخمسة حسب رواية ﴿بني الإسلام على خمس﴾[(3)]؟! والاهل هم نساء البيت، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [(4)]،

---

(1) سورة مريم: آية 31.

(2) سورة مريم: آية 55.

(3) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ. انظر صحيح البخاري: (4515/8) وأكثر من ثلاثين مصدرا اخر من اهل السنة والجماعة كلها روت الحديث عن طريق ابن عمر.

(1) سورة هود: آية 81.

الا يوجد من يذّكر علينا بعلم مما علمه الله أم هي مجرد قواعد لغوية وبلاغة ونحو ومجاز قرآني؟!! هنا يشرع وهنا يأمر وهنا يهمل! والجواب الأكثر شهرة من بين الأجوبة الرتيبة التي لا ترتقي أن تكون رداً لمبتدئ، هو ﴿ان الله يفعل ما يريد﴾، ويتكلم بما يريد سواء كان الكلام موزوناً بقواعد نحوية أم لا؟!!

استغفر الله العظيم وحاشاه من هذا ان يكون فعله لهواً وعبثاً لمجرد استسلامه لرغباته، حتى وأن عاشت الامة التي أنزل عليها هذا الكلام في تيهٍ وظلال، ومن المفترض انه جل جلاله أرسل النبي بالقرآن هادياً ونوراً وصراطاً مستقيماً لا مظلاً مدمراً لعقائدهم، حاشاه وكلماته من هذه الهرطقات، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون.

فذلكات لغوية نحوية

ويمكن أن يرد أحدهم علينا بنفس المنطق بأن ذكر النساء المؤمنات لم يرد في كثير من الآيات سواء ما اشتملت على حكم ام تشريع وعبادة، كقولنا ﴿إن الله لم يقل للنساء حرمت على النساء الميتة﴾، انما جاء بالمطلق ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ (1)، فلا ذكر للنساء هنا.

(2) سورة المائدة: آية 3.

وبهـــذا المنطـــق الجـــاهز تجـــد الكثيـــر ممـــن يـــرد علينـــا مـــا نقـــوم بكتابتـــه، نحـــن نظـــن اننـــا ربمـــا نكـــون مخطئـــين ولكـــن علـــى الأقـــل هـــو أقـــرب للواقـــع فـــي تـــدبر كلمـــات الله مـــن الروايـــات التـــي انتجـــت لنـــا فكـــراً متطرفـــاً اســـطورياً، وتـــارةً لا يرتقـــي كدســـتور لمـــدن، انمـــا هـــو أقـــرب لســـنينة عشـــائرية تقـــاد بهـــا مجموعـــة مـــن بيـــوت الشـــعر ورعـــاة اغنـــام متفـــرقين فـــي صحراء الحجاز ونجد..

و ســـنقوم بإزالـــة هـــذه الشـــبهات بـــأذن الله انطلاقـــاً مـــن عهـــد الله للنبـــي بمبايعـــة النســـاء المؤمنـــات بمجموعـــة مـــن الأمـــور لا ينـــدرج مـــا ذكرنـــاه ســـابقا مـــن عبـــادات فيهـــا بحســـب مـــا ورد فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ يَـــا أَيُّهَـــا النَّبِـــيُّ إِذَا جَـــاءكَ الْمُؤْمِنَـــاتُ يُبَايِعْنَـــكَ عَلَـــى أَن لَّـــا يُشْـــرِكْنَ بِاللَّـــهِ شَـــيْئًا وَلَـــا يَسْـــرِقْنَ وَلَـــا يَـــزْنِينَ وَلَـــا يَقْـــتُلْنَ أَوْلَـــادَهُنَّ وَلَـــا يَـــأْتِينَ بِبُهْتَـــانٍ يَفْتَرِينَـــهُ بَـــيْنَ أَيْـــدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِـــنَّ وَلَـــا يَعْصِـــينَكَ فِـــي مَعْـــرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

---

(1) سورة الممتحنة: آية 12.

من هو اسرائيل

حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [1]، ونعرض أمامها نصوص أخرى بخصوص حلية الطعام وحرمته نفهم تماماً قِدَم هذه القصة لإسرائيل مما جعلنا ننسف الموروث القائل إن يعقوب ﴿عليه السلام﴾ اسمه إسرائيل وإسرائيل يعني عبد الله، فلو تدبر الناس قليلاً قبل الاخذ بالتفاسير التوراتية لقصص الأنبياء لاكتشفوا انه لا توجد حقبة زمنية منذ تأريخ التدوين واكتشاف الحرف والقلم كان الطعام كله ﴿حلاً﴾ لبني البشر أو لفئة معينة من الناس، إذا ما اخذنا برواية أن إسرائيل هو يعقوب ﴿عليه السلام﴾؟!! فليخبرني احدكم متى كانت الحيوانات المفترسة طعاما للبشر؟!! ومتى كانت الحشرات طعاما لهم؟!

بل متى كانت القطط والتماسيح والسلاحف والحشرات وأنواع النباتات المختلفة والميتة والدم واللحم الغير مذكى وما لم يذكر عليه اسم الله هو حلال أكله في شريعة اليعاقبة من طائفة بني إسرائيل؟!! وهم أكثر الناس تشدّداً في تذكية الأطعمة والاشربة وبالأخص في عهد أصحاب الكهف حينما قالوا:

---

(1) سورة آل عمران: آية 93.

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[1].

وهذا الورق هو قائمة الأطعمة المحللة والمذكاة في شريعة بني إسرائيل، ولعلّني اذكركم ان نسيتم ان يعقوب ﴿عليه السلام﴾ هو ابن اسحق ابن إبراهيم ﴿عليهما السلام﴾، أي أن شريعة يعقوب ﴿عليه السلام﴾ وأولاده هي نفسها شريعة ابائه إسماعيل واسحق وإبراهيم ﴿عليهم السلام﴾.

قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

فلماذا لم نسمع أن في عهد إبراهيم واسماعيل واسحق ﴿عليهم السلام﴾ كان الطعام كله حلاً لهم كما كان حلا لبني إسرائيل ﴿ أي يعقوب﴿عليه السلام﴾ بحسب الموروث التوراتي ﴾ ولم نسمع أن في شريعة إبراهيم وإسماعيل واسحق ﴿عليهم السلام﴾ أنهم لم يشرعوا القصاص في القتلى أو ان القتل كان جريمة لا تغتفر بحيث قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

---

(1) سورة الكهف: آية 19.

(2) سورة البقرة: آية 133.

قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1].

البحث عن شخصية اسرائيل

ولهذا وجب علينا البحث والتقصي عن إسرائيل هذا الذي يحلل ويحرم الأطعمة من تلقاء نفسه لا بأمر من الله، بحيث يمكننا ببساطة ان نستنتج انه اولاً لم يكن نبياً، وثانياً عهده أقدم من إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب ﴿عليهم السلام﴾، لأنه ببساطة كتب عليه وعلى بنيه تشريع جديد لم يكن مكتوباً على قوم من بني البشر في السابق وهو تجريم القتل العمد ﴿من قتل نفساً بغير نفس﴾.

- ❖ سؤال: متى كان البشر يعملون بلا تشريعات دستورية وتنظيمات للأكل والشرب وغيرها من الأمور اللازمة لتنظيم المجتمعات؟!
- ❖ سؤال: لماذا يحتاج بني البشر لتنظيم الأطعمة والاشربة اصلاً؟!

العهد القديم للمجتمعات المدنية

سننطلق في بحثنا للإجابة عن مثل هذه الأسئلة لرفع الشبهات والابهام في القصص القرآني ابتعاداً عن الموروث المنقول من كتب العهد القديم والجديد، بحيث يجد المطّلع على أمثال هذه الكتب التي

---

(1) سورة المائدة: آية 32.

تُنسَب للأنبياء على انها كتب التوراة والانجيل والزبور وغيرها من الكتب، تشابهاً فيما بينها وبين القَصَص القرآني، بحيث انحرف المراد من كلام الله في القرآن الذي لم يستطع هؤلاء الكهنة والحاخامات المساس بألفاظه طيلة الفترة الماضية من عدائهم الظاهري له، ولهذا عمدوا الى اخراج كتب مرادفة له مشابهة للمحتوى ومغايرة في المعنى وهذا هو معنى قوله تعالى في وصفهم:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[1]،

أي يغيرون معانيه مع احتفاظه بمفرداته الاصلية.

كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل منذ عهد ادم

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

حينما نقارن النص السابق مع النص المخصص لحلّية الطعام لبني إسرائيل نستطيع ان نميز فترة من الفترات كان فيها ادم وزوجه يأكلان حيث يشاءان من بساتين الجنة الأرضية وثمارها، والتي لم تكن بعد

(1) سورة المائدة: آية 13.

(2) سورة البقرة: آية 35.

تحتوي على زروع وحبوب، والاماكن المرتفعة والعالية جدا عن الأرض لا تصلح الا لزراعه الثمار ولا يعيش فيها الا أصناف معينة من الحيوانات، حيث كانت الجنة الأرضية مسخرة لآدم وزوجه وساكنيها من الملائكة والجن مسخرين لآدم وخدمته هو وزوجه للعيش في تلك الجنة بل كل ما في الأرض كان مسخر لهم، وبهذا نستطيع تمييز الفاظ الهبوط والخروج من هذه الجنة حينما عصى ادم ربه بل ونستطيع ان نستنتج ان اول تحريم للأطعمة من قبل الله سبحانه وتعالى هو تحريم لطعام نباتي وليس حيواني!!

لباس التقوى علّة الصيام

❖ سؤال: ما الذي فعله الشيطان لآدم وزوجه بحيث قاما بفعل المعصية؟!!

❖ جواب: قام الشيطان بنزع لباس ادم وزوجه في الجنة!!

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

❖ سؤال: ما هو هذا اللباس المفترى؟!!

❖ جواب: لباس التقوى؟!!

---

(1) سورة الاعراف: آية 27.

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].



وما هي الفائدة من هذا الكلام كله يا ﴿أسامة البدران﴾ وماذا ينفعنا في مبحثنا؟! فقد اختلطت علينا المفاهيم، هنا يذّكر على أحد الاخوة!! الجواب: أن معرفة هذه المفاهيم وامثالها التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي في صميم العقيدة التي أراد الله سبحانه وتعالى ترسيخ مبادئها في عقول بني البشر، وبالأخص أصحاب الرسالة المحمدية المكلفين بنشرها بقواعدها المتينة والاصيلة في المجتمع، بحيث يكون

(1) سورة الاعراف: آية 26.

انموذجاً للمجتمع الفاضل قبل أن يسبقنا الى هذا الفعل غيرنا من الاقوام، بحيث لمسنا مثل هذا التحذير في بعض الروايات المنسوبة للأمام علي ﴿عليه السلام﴾: ﴿اللّه اللّه في القُرْآن، لا يَسْبِقكُمْ بالعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ ﴾ [1]، وبالتالي فأن معرفة قوله تعالى ﴿ لباس التقوى﴾ توصلنا الى فائدة الشعائر والفروض التي كتبت علينا كتشريع بعد خروجنا من الجنة الأرضية التي كان يسكنها ابونا ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ وبضمنها فائدة الصيام !!

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

الصيام تشريع ارضي وليس ازلي:

أذن كما قلنا سابقا أن الصيام فعل تم تشريعه علينا لمشكلة وامور مستحدثة لنا بعد ان كنا لا نحتاج لفعل الصوم، فعلى الرغم ان الصيام تستثقل منه النفس البشرية ولكنه يحمل في طياته لنا خيراً كثيراً وقد يرجع لنا في الاخرة ﴿لباس التقوى﴾ الذي نزعه الشيطان عنّا لقوله

(1) بحار الأنوار: ج42، ص256، وأيضا: نهج البلاغة: الرسالة 47 للحسن والحسين عليهما السلام: من وصية له عليه السلام لهما حينما ضربه ابن ملجم بلفظ (الله الله في الايتام.. الله الله في القرآن.. الخ).

(2) سورة البقرة: آية 183.

تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾ أي يحتمل ان نتحصل على التقوى المرادفة لكثير من الشعائر الأخرى والتي لن ينال الله منها شيئاً غير التقوى!!

قال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

❖ نتيجة مؤقتة خطيرة جدا لا انصح بقراءتها: ان الله سبحانه وتعالى اذ خلق الجن والانس لكي يعبدوه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، ولكنه يناله من خلال عبادتهم هذه على ﴿التقوى﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾[3].

علل الصيام

اذن فأن شعيرة الصيام لم تكن مكتوبة على بني البشر منذ الازل، انما هي نظام مستحدث فيه فوائد صحية فسيولوجية أن تم تطبيقه بصورة عقلاءية، لا كما يفعل الناس في يومنا هذا في بعض أشهر السنة من الصيام 17 ساعة في لهيب الحر والشمس، ومع القيام بالأعمال الشاقة كأننا في ﴿ريسسز﴾ لسيارات الرالي انما أراد الله بنا اليسر وليس

(1) سورة الحج: آية (36–37).

(2) سورة الذاريات: آية 56.

(3) سورة الحج: آية375.

العسر، لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(1)، وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾(2)، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الصوم فيه خير كثير لنا على الرغم من المشقة والصعاب والاستثقال الذي يرافق النفس البشرية، قال تعالى: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(3).

كراهة النفس الإنسانية لكل عمل تصاحبه مشقة

تطرقنا في بداية مبحثنا هذا الى قضية الصيام بطرح جديد ومفهوم تدبرناه من مَضانّ الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(4)، ولكي نكمل ما بدأناه من افتراءات قد تكون غير مستساغة من قبل المجتمع الذي تعود على مفاهيم دارجة وعادات وتقاليد تكاد تعتبر من البديهيات التي لا غبار عليها، ونحن اذ نذر التراب والشبهات عملا بالمنهج الابراهيمي الحنيف لم يكن يكفينا ان نركن للموروث الشعبي دون تثويره وعرضه للتدبر، ومن خلال تدبرنا للصيغة الواردة في آية الصيام لفعل المبني للمجهول ﴿كُتِبَ﴾ وعرضه على نصوص أخرى وردت فيه

(1) سورة البقرة: آية 184.
(2) سورة البقرة: آية 184.
(3) سورة البقرة: آية 216.
(4) سورة البقرة: آية 183.

نفس الصيغة، توصلنا الى أن هذه المفردة ترد مع الواجب الغير محبب للنفس الإنسانية فعله كما في قضية القتال لقوله تعالى:﴿ **وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ** ﴾[1]، والعقل الإنساني من خلال دراستنا لطبيعة عمله في المرحلة الاكاديمية في كلية التربية الرياضية / جامعة بغداد عام 2002 م، والذي كان من المواضيع المرتبطة بالمواد والحصص الرياضية لمعرفة كيفية الحصول والتوصل الى التوافق العصبي العضلي لأداء المهارات الرياضية والوصول الى القوى الانفجارية للاعب المهاري، فهمنا ان العقل حينما يعرض عليه امرٌ من امرين فأنه يحبب للجسم الفعل الذي لا يحوي على جهد ومشقة وتعب والم عضلي، ولهذا فأن الإصرار على التعب والالم وبذل الجهد لأداء الفعاليات الرياضية التي تتطلب جهد عضلي من مميزات الشخص المثابر الذي لا يركن للعقل في أهواءه الميالة الى الراحة والخمول، وكما يقال في المثل عن اللاعبين العراقيين ومنتخباتهم الكروية ﴿هكذا يلعب المحاصرون ، وبالعناد يغلبون﴾ ، اذن الصيام والقتال فيه جهد ومشقة وهو كُرهٌ للإنسان فعله ولكن علّة اداءه فيه خير لنا، فمن اين علمنا أن الصيام والقتال الذي هو كُرهٌ لنا ولكن بنفس الوقت فيه خير لنا؟!!

الجواب/ قال تعالى:﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [2].

(1) سورة البقرة: آية 216.

(2) سورة البقرة: آية 216.

طيب وما هو هذا الخير الذي تذّكر به علينا؟!!

الجواب: الخير هو التقوى؟!! بدليل قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾[1].

لباس التقوى؟!

سؤال مرتبط بما قبله من نتائج: كيف نميز بين كون التقوى هي نتيجة للفعل من كونها فعل بحد ذاته؟!!

وبمعنى أدق: هل التقوى هي فعل نستطيع القيام به أم هي نتيجة الأفعال التي نقوم بها كالصيام والقتال؟!! او تكون التقوى ذاتية مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[2].

وماذا يعني تقياً اصلاً؟!! وما ارتباط التقوى بلباس التقوى الذي نزعه الشيطان عن ابوينا في الجنة؟!!

ان الإجابة عن هذه الأسئلة يحتاج منا الى تدبر عميق وخوض في قصص قرآنية متفرقة وجمع نتائجها للوصول الى حقيقة تنطبق على الواقع الذي أراد الله ايصاله لنا من خلال هذه المفردات.

قال تعالى: ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

(1) سورة البقرة: آية 183.

(2) سورة مريم: آية 18.

وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (27) ﴾[1].

أن الحيلة التي دبرها الشيطان من خلال زرعه للشجرة التي وقعت بسببها معصية ادم وزوجه (عليهما السلام) لأوامر الله ونواهيه كانت مدروسة ومخطط لها بذكاء وحنكة، لأن لا سبيل للوصول الى اذية أدم وزوجه (عليهما السلام) الا من خلال الإيقاع بهما ونزع ﴿لباس التقوى﴾ عنهما وهذا الرداء او اللباس هو درع واقي من الشرور والمكائد لا يزول الا بأراده الشخص الذي يرتديه بنفسه، فكانت المكيدة تقتضي ان يقوم ادم (عليه السلام) بفعل ﴿المعصية﴾ من تلقاء نفسه وبإرادته وبكامل قواه العقلية، ومن يتدّبر النص السابق جيداً يجد عدة معاني قد غابت عن

(1) سورة الاعراف: آية (23-27).

الشبهات طيلة العقود السابقة والتي يفترى فيها علناً على الله انه هو من اخرج ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ من الجنة!! ولو تدّبرنا النص مرة أخرى لوجدنا ان فعل الامر ﴿اهبطوا﴾ جاء من الله بعد وقوع علّة ﴿ليريهما سوءاتهما﴾!! أي ان الداء قد وقع ولابد من العلاج، والهبوط الذي امر الله ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ به هو ﴿علاج﴾ لهما لكي ترجع لهما ﴿قواهما الصحية﴾ كما كانت حينما البسهما لباس التقوى.

اذن فعل الامر ﴿اهبطوا﴾ هو من الله، وفعل ﴿الخروج﴾ ينقسم الى فعلين في النصوص أولهما هو فعل امر ﴿أُخرُج﴾ والثاني هو حال ماضي ﴿أَخرَجَ﴾ لفاعل قبله هو ﴿الشيطان﴾ وهذا الشيطان هو جندي من جنود ملك الشياطين والجن الفسقة اسمه ﴿إبليس﴾ وابليس هذا هو الذي زرع الشجرة في هذا المكان وكانت محرمة على كل ساكني اهل الجنة ﴿الجنة الأرضية﴾ وهي ليست جنة الخلد طبعاً، لان حيلة الشيطان ومكيدته كانت مبنية على ان يهب الخلود لهما، فلو كانت جنة الخلد لما قاسمهما الشيطان بقوله ﴿الا ان تكونا ملكين او تكونا

من الخالدين﴾، فمن هنا يمكننا طرح نتيجة أولية سنقوم بتفصيلها لاحقا لمعنى مفردات مشتقة من الجذر﴿ ت ق ي ﴾ قد وردت في النصوص القرآنية مثل ﴿تقياً﴾ في قصة روح الله الذي كلم مريم ﴿عليها السلام﴾، و ﴿ التقوى ﴾ في قصة الشيطان ولباس التقوى الذي نزعه عن ادم وحواء ﴿عليهما السلام﴾ و﴿تتقون﴾ في قضية الصيام وغيرها من الأفعال الواجبة التي كتبت علينا وارتباط هذه المفردات كلها بقضية قوله تعالى: ﴿ وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾[1]، وهذه النتيجة هي ان لباس التقوى هو ﴿درع واقي عن الرؤية للسوءة ﴾ وارجوا ان يتأنى القارئ الكريم علينا في نقده اللاذع، لان فهم هذا المبحث يحتاج من القارئ ان يتابع معنا حتى النهاية، وهذا لا يعني اننا نعزو قلة الفهم للقراء معاذ الله انما لقصور منا في المقدرة على إيصال ما في اذهاننا الى كل المستويات الفكرية والقدرات العقلية والطاقات الخام الفذة التي تتابع بصمت ما نفتري من مباحث قد تكون ذات قيمة فعلية في المستقبل للأجيال القادمة والاجيال المعاصرة.

---

(1) سورة الحج: آية 37.

وقد نطرح استفهاماً مشروعا للنتيجة أعلاه، ما هي السوءة التي تحتاج الى هذا الدرع الواقي؟! ولماذا لم يستطع الشيطان النفاذية لإيقاع الأذى بأدم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ الا بعد ان ينزع عنهما هذا الرداء والذي افترينا قبل قليل ان نزعه يتطلب ان يقوم ادم ﴿عليه السلام﴾ بفعل المعصية من تلقاء نفسه وبكامل ارادته وقواه العقلية؟!!

وربما يتوقف بعض القراء الأعزاء عن متابعة القراءة هنا لاعتقادهم ان هذا الكلام كله لا يمت بصلة الى أصل المبحث وقضية الصيام، وأحب ان اذكرهم اننا نبحث في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، فالتقوى هنا هي أصل المبحث وغايتنا للربط بين المشاهد المتكررة في جميع كتاب الله لكي نفهم النص بصورة صحيحة أقرب للواقع، ولا ننفي خطورة المفاهيم الجديدة التي نحاول تدبرها ولهذا أقول من أراد ان لا يكمل القراءة فليتوقف هنا مباشرة فنحن غير مسؤولين عن أي رد فعل قد يترتب على عقيدة القارئ الذي لم يستسيغ ما نكتب، او انه يتابع مباحث لعدة كتّاب في ان واحد مما يسبب لديه خلط في المفاهيم، وهذا يحدث كثيرا وقد واجهت شخصيات تتواصل معي

(1) سورة البقرة: آية 183.

على الخاص أصيبوا بالحيرة والتردد والنفور بسبب تخبط القراءة وباحثين اللحظة الذي يكررون انفسهم ويكتبون بما لا يفقهون الا لطلب الشهرة والاستحسان دون ادنى حسابات لخطورة الكتابة في مباحث تخص العقيدة والمجتمع وترك الحيرة والشك منعقد في الاذهان بحيث يستغل اهل الالحاد واعداء الدين هذه الثغرات للنفاذية الى هؤلاء الأشخاص وتحريكهم باتجاه هادم للنفس والاسرة والمجتمع.

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [1].

وعوداً على بدء نقسم أنواع الألبسة في النص السابق لعدة اقسام:

1- لباس التقوى.
2- لباس يواري السوءة.
3- الريش.

هذا الطابع العام للآية السابقة ولكن لو تدبرنا بعمق سنصل الى نتائج أكثر.. كيف هذا؟!!

أولاً: ان لباس التقوى له ميزة مواراة السوءة أيضا فمن غير المنطقي بحسب فهمنا ان سوءة ادم ﴿عليه السلام﴾ كانت ظاهرة في الجنة والنص

(1) سورة الاعراف: آية 26.

يذكر بصريح العبارة ان الشيطان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما.

ثانياً: اللباس يمكن تقسيمه الى تقسيم جديد بحسب المكان وبحسب الفائدة الأول لباس في الأرض، والثاني لباس في الجنة.

ثالثاً: اللباس الذي في الأرض يشترك مع اللباس الذي في الجنة بكونه يواري السوءة.

رابعاً: اللباس الذي في الأرض يختلف عن اللباس الذي في الجنة بكونه لا يقي من الشيطان ولهذا تم تمييزه بصفة ﴿لباس التقوى﴾ عن الذي في الأرض.

خامساً: الريش في الآية: ﴿ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ﴾ [1]، هو تعبير عن مادة تستخدم في الألبسة للوقاية من الظروف الطبيعية، أي يعطي الدفيء ويقي البرد ويرتدى فوق اللباس المادي الذي يقي السوءة، وسنقوم بالدخول في تفاصيل ادق تخص هذه المفردات بأذن الله.

صلوا كما رأيتموني

ان من اشهر الاحاديث النبوية المشهورة في تبيان كيفية الصلاة الحركية التي يمارسها المسلمون على مختلف مذاهبهم الظاهرية والمنصهرة في مذهب الدولة سواء كانت هذه الدولة حديثة معاصرة ام من حكومات التاريخ التي قضت بانقضاء

(1) سورة الاعراف: آية 26.

الدهر هو: ﴿صلوا كما رأيتموني اصلي﴾[1]، وهذه الرؤية للنبي محمد ﴿ﷺ﴾ منعقدة بالمقربين منه فقط، لأنه من غير المنطقي ان يكون الجيل الأول من المعاصرين للنبي من اتباعه قد نالوا شرف رؤيته يقوم بصلاة حركية جماعة كانت ام فرادى، واغلب الاحاديث الواردة عن ممارسات النبي في خلواته وصلت الينا منسوبة الى ازواجه لكي يكون اقناع الشعوب بهذه الممارسات سهلاً على الحكام، ولكي يكون مشهد الفانتازيا الإسلامي جميلاً منمقاً غير متضارب في حبكة القصة، ولكن هؤلاء المزورين المحرفين لسيرة النبي ﴿ﷺ﴾ لم يكن في تصورهم ان وعد الله بحفظ الكتاب المنزل على نبيه ﴿ﷺ﴾ سيكون متيسرا للأجيال القادمة من بعدهم وسيكون هو المعيار لكل القصص والروايات التي نسبت للسيرة النبوية.

ومن خلال مطابقة النص اللغوي للقرآن مع السيرة النبوية قد يجد القارئ ان هناك تضاربا واضحا في تصرفات النبي ﴿ﷺ﴾ مقارنة بالوحي المنزل عليه، ومن هذه التقاطعات هو قيامه ﴿بفعل الصلاة﴾

---

(1) ورد هذا الحديث بصيغة (صلوا كما رأيتموني اصلي) في هامش ص 335 من كتاب بحار الانوار ج 79 ، للعلامة المجلسي ، طبعة دار التراث/ بيروت – 1983، وهذا الحديث ورد بنفس الصيغة في كتاب صحيح البخاري وفي كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، وورد في البحار أيضا في الجزء 2، ص433، راجع أيضا : صحيح البخاري ١: ١٦٢ كتاب الأذان ب ١٨، سنن الدارمي ١: ٢٨٦، عوالي اللآلي 1: 198 ح 8.

بطرق لا يجد لها المتابع اثرا في القرآن وقد يعزو بعض الباحثين عدم الرؤية هذه الى قصور في فهم مفردات القرآن، ونحن ندعوا[1] هؤلاء الباحثين انفسهم ان يشيروا الينا بالآيات التي قصرنا عن رؤية مضامينها الخفية والدفينة بحيث استنبطوا لنا هذه الحركات بحجة الرؤية المباشرة لفعل النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ويمكن لنا ان نطرح عدة أسئلة مشروعة لا تقدح في عقائد المسلمين او تضر بها، ان هي الا تساؤلات فقط :

1- ما هي الآيات الدالة على الفعل الحركي للصلاة بالكيفية الحالية؟!!
2- ما هي الآيات الدالة على أن السجود والركوع هما فعلان تعبديان داخلان في فعل الصلاة؟!!
3- من أين جاءت حركة فعل ﴿التكبير﴾ التي يقوم بها المسلمون قبل الصلاة واثناء الركعات؟!!
4- لماذا يجد المسلمون ان مقدمات الصلاة مثل الوضوء مفصلةً في كتاب الله في حين أن الفعل الأصلي المنوط بهذه المقدمات مبهم بالنسبة لهم في نفس الكتاب؟!!

(1) بحسب قواعد تشكيل الكلمة الوضعية تكتب كلمة ادعوا بدون زيادة حرف الالف هكذا (ادعو) وقد اعتمدت كتابتها هكذا من ص (15) بالألف بحسب الرسم القرآني.

5- هذا السؤال مرتبط ببداية المبحث وهو قول النبي ﴿ﷺ﴾ ﴿صلوا كما رأيتموني أصلي﴾، إذا كانت الرؤية هي معيار فهم الحركات التفصيلية للصلاة فمن اين تعلم المسلمون الالفاظ التفصيلية لركعات الصلاة؟!!

6- من اين تعلم النبي ﴿ﷺ﴾ نفسه هذه الصلاة الحركية إذا كان يأمر الناس ان يصلوا كما رأوه يصلي؟! مع الاخذ بأننا لم نجد تفصيلا لهذه الحركات في القرآن الكريم وان النبي ﴿ﷺ﴾ لا يشرع شيئاً للناس من تلقاء نفسه انما من الوحي المفصل في كتاب الله القرآن الكريم؟!!

هذه مجموعة أسئلة افتراضية قد يستشعرها أي انسان في داخله سواء كان من المسلمين أم من غيرهم وقد يشده الفضول لمعرفة التشريع الحقيقي للصلاة كفعل عبادة يومي يمارسه في خمسة أوقات مختلفة دون ان يكون هناك أثر على المجتمع كما يصفها الله بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾(1)!!

ولكي نفهم هذا الأثر الاجتماعي علينا ان نفهم أولا ما هي الفحشاء وأين تكون وكيف يتم النهي عنها وما هو المنكر وأين يكون وكيف يتم النهي عنه لكي نصل الى حقيقة حركات وتطبيقات هذا النهي والذي هو ناتج عن فعل ﴿الصلاة﴾ الذي ذكره الله في هذا النص؟!!

---

(1) سورة العنكبوت: آية 45.

وعندما نصل الى فهم مقارب لما أراد الله ايصاله لنا من خلال ذكر مفردة الصلاة في كتابه يجب ان نفهم علاقتها بالمفردات الأخرى وعلى الأقل نبين وجه التشابه بين المفردات المذكورة بالنص كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1].

التطهر بالماء قبل الشروع بفعل الصلاة

ولكي نفهم فعل ﴿الصلاة﴾ أيضا يجب علينا ان نفهم مقدماته التي أمرنا بها الله قبل القيام به مثل ﴿الوضوء﴾ وهل حقا ان ما نقوم به من اغتسال ومسح بالماء أو التراب هو وضوء، مع علمنا ان الله لم يعبر عن هذه المقدمة بأنها وضوء في كتابه الكريم اطلاقاً!! فمن اين جاءت مفردة وضوء يا ترى؟!!

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

(1) سورة البقرة: آية (43-46).

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[1].

وبهذا التفصيل الدقيق من قبل الله سبحانه وتعالى أراد الله ان يطّهر الذين آمنوا ويتم نعمته عليهم لعلهم يشكرون، ولكن لماذا يا ترى لم ينزل قرآن وآيات وتفصيل بكيفية إقامة الصلاة او كيفية صلاة النبي محمد ﴿ﷺ﴾ والتي يأمر اتباعه بها بحسب الرواية ﴿صلوا كما رأيتموني أصلي﴾؟!! ولماذا تختلف صلاة المسلمين حالياً عن باقي الديانات الأخرى في الوقت والكيفية؟! فالنصارى مثلا يصلون كل يوم أحد!! أي مرة واحدة في الأسبوع!! السنا أيضا محسوبين على الأديان الابراهيمية وإبراهيم ﴿عليه السلام﴾ اول من سمانا ﴿المسلمين﴾ قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[2]، اذن لماذا لم نسمع في تاريخ الأديان السابقة ان صلاتهم تشبه ولو بـــ﴿ 1٪ ﴾ من ممارسات المسلمين لفعل الصلاة؟!! بل لو بحثتم في جميع اثار،

---

(1) سورة المائدة: آية (6-7).

(2) سورة الحج: آية 78.



﴿مسلة الملك شلمانو – اشرئيد الثالث المعروفة بالمسلة السوداء 825 ق. م﴾ (1)

---

(1) This is the upper 1st (top) register, side A, of the Black Obelisk of Shalmaneser III. The king, surrounded by his royal attendants and a high-ranking official, receives a tribute from Sua, king of Gilzanu (north-west Iran), who bows and prostrates before the king. From Nimrud, northern Mesopotamia (Iraq). Neo-Assyrian period, 825 BCE. The British Museum, London. Osama Shukir Muhammed Amin FRCP(Glasg).

الحضـــارات لن تجدوا أي شــكل او رســم او نحت او تمثال يقوم بفعل ﴿الصــلاة﴾ بـالكيفيـة الحـاليـة او مقـاربـه لهـا، كمـا انكم لن تجـدوا فعل﴿السجود﴾ مثلا بطريقة السجود على سبع مواضع والذي يقوم به المسـلمون كجزء من صـلاتهم في أي نقش او أثر او صـورة تاريخـية لاي امة من الأمم السابقة، وربما يجد البعض صورة لتقبيل الأرض بين يـدي أحد الملوك المنتصـــرين لبعض العبيد او المهزومين وهذا ليس فعل السجود المنشود الذي نطرحه هنا لمن حصـل لديه اشـتباه وخلـط ففعل السـجود على سـبع هو ليس تقبيل الأرض بوضـع الانحناء، كما ان فعل الســجود في القرآن لا يشـــبه في أي شــيء ما يقوم به المســلمين في صلاتهم ﴿السجود على سبع مواضع﴾.

الوضوء في الإسلام من منظار جديد

ان اتباع المنهج اللغوي البَحت يحتم علينا مراجعة كل مفردة وردت في النص لنفهم الممارســات التي نقوم بها ومدى تأثرها بالممارســات الشعبية والتي تبتعد عن النص القرآني وسنقوم بأثبات هذا الرأي تباعاً في هذا المبحث، فمن خلال تدبر النص التالي نستطيع البدء بطرح عدة أسـئلة مشـروعة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾(1).

(1) سورة المائدة: آية 6.

❖ سؤال: في النص السابق وردت كلمات مهمة تدعم ما نصبوا اليه وهي ﴿الوجه﴾ في قوله ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ والرأس في قوله ﴿وامسحوا برءوسكم﴾ فما هو الفرق بين الوجه والرأس في هذا النص القرآني؟! وكيف استثنى الفقهاء والعلماء ادام الله بركاتهم على الامة الإسلامية ﴿الوجه) من قوله ﴿برءوسكم﴾؟!! وهل حقا ان مفهومنا للعضو الذي يقبع فق اكتافنا يعبر عنه الله في القرآن الكريم ﴿بالرأس﴾ ام هناك مفردة أخرى دالة عليه؟!!

عدم اهتمام العلماء بالنص مقابل الرأي الفقهي

ان تبياننا لهذه المفردات بالتفصيل هو امر لم يكن يؤرق أي من العلماء الافاضل من السابقين او المعاصرين او من باقي الناس ببساطة، لان العلماء يبنون العقيدة واستنباط الاحكام المترتب عليها من خلال المسلمات والبديهيات، فهو يقول لك مثلا انه يحكم العقل والمنطق واللغة.. الخ، ولكن الم يلتفت هؤلاء الى انهم بعدم تبيانهم تفصيل هذه المفردات وايضاح معانيها بعيدا عن المعنى الشائع والشعبي قد يترتب عليه أثر مخالفة أوامر الله الواضحة والمفصلة في كتابه؟!! وليت شعري كيف بباقي العبادات والممارسات التي لم نجد لها تفصيلاً في كتاب الله، إذا كان هذا منهجهم في استنباط الاحكام؟!

بل من الممكن ان تطرح هذا السؤال على أي شخص في الشارع او البيت او السوق او مكان العمل قل له ما هو الرأس؟!! ولربما يضحك منك البعض او قد يشير اليك مباشرة الى ما فوق كتفه قطعاً!! فهذا من البديهيات بل ان هذه التسمية شائعة جداً، ولا يكاد أي شخص يتكلم العربية ان يفهم من مفردة رأس غير العضو الذي يقبع فوق الاكتاف ويحتوي على الوجه بكافة تفاصيله مع الشعر والجمجمة وما الى ذلك من باقي التفاصيل!! اليس كذلك؟!! اذن اطرح سؤالا اخر على نفس الشخص، قل له كيف نفهم هذا التعبير في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾(1)؟!!

هل تقوم بمسح الوجه عزيزي المسلم بكل تفاصيله مع الشعر والاذن وكل شيء يقبع فوق الرقبة يا ترى؟!!

ثورة للتمرد على الممارسات الكلاسيكية

كنا قد طرحنا في الاقسام السابقة من هذا الكتاب عدة شبهات لتثوير العقل من اجل أن يتمرد على الممارسات الكلاسيكية الشعبية والتي يفترى على الامة انها أوامر ونواهي الرب إليهم، في حين انها ليست سوى أوامر ونواهي مؤسسات تابعة لأنظمة سياسية حاكمة، هدفها السيطرة واستعباد الناس من اجل مصالحهم الخاصة، وأحب ان انوه للقارئ الكريم انني بهذا الفعل لا ادعوا الى ترك أي عمل عقائدي

(1) سورة المائدة: آية 6.

وتعبدي يقوم به أي مسلم حاشا لله، ولست أقول شيئا افتريته من عند نفسي، ولا ادعوا أحدا الى ترك صيامه وصلاته الحركية التي وصلته اما بالمشاهدة او القراءة والتقليد لكتب الفقه والتفسير والمذاهب، استمر بأداء أي عبادة تراها انت صحيحة، ولكن هذا لا يمنعك عن طرح أسئلة واثارة استفهامات عن هذه الممارسة التي وصلتنا عن طريق النص في كتاب الله العزيز، واي تقاطع ما بين النص والممارسة العبادية يجب ان نعزو سببه للاجتهاد الشخصي من قبل العلماء، ومن حق أي شخص ان يستفسر من هذا العالم الفقيه او من هم على مذهبه ومدرسته عن السبب الذي جعله يأتي باستنباط من عند نفسه مقابل النص في الذكر الحكيم، اذن اثارة الشبهات لها منافع كثيرة من أهمها انها تجعل الانسان ذو عقيدة رصينة مدعومة بأدلة من القرآن ويمكن تطبيقها على ارض الواقع، بل ويمكن لمس اثارها فور اداءها، لا كما نشاهد الان من فعل الامة الإسلامية التي تنادي بتحرير ارض العرب الفلسطينية من الكيان الصهيوني وهم ينهشون في لحم بعضهم البعض، ولدينا ما يسمى بخادم لبيت الله وهو يرقص على أنغام الطرب والموسيقى برقصة بدوية ويحكم الامة بالدستور المادي والله يقول:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (1).

---

(1) سورة المائدة: آية 44.

علاقة التطهير قبل الصلاة بالرأس

ولكيلا نخرج عن موضـــوع البحـث فقـد طرحنـا السـؤال التـالي الـذي يخص فعل ﴿الوضـوء﴾: ما هو اسـم العضـو الذي يعلو اكتاف الانسـان بحســب التعبير القرآني في النص؟! ومن خلال ابتعـادنـا عن منهج الروايـات لأنـه منهج عقيم ومطول ولا يتفق عليـه اثنـان، فقـد ارتـأينـا التمســك بمنهجنا البحثي اللغوي القرآني البحت، والـذي لا نـدعي اننـا نمتلك علما لا يضـــاهيه أحد او نفتري ان ما نكتبه هو الحق، بل نقول اننا ما دمنا نستطيع فك رموز التراكيب اللغوية من خلال عرضـها على القرآن فلماذا توقفت الامة عن تدبره مع الامر الصـريح والواضـح من الله بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [1]؟!

لنتابع قوله تعالى في مفردة الرأس: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[2].

ان القيام بفعل ﴿حـلق الرأس﴾ اثناء طقوس الحج للبيت الحـرام يعتبر من شعائره، والنص فيه مفردة محذوفة هي ﴿الشعر﴾!!

هـل توافقني عزيزي القـارئ ام لا؟!! ربمـا هنـاك من يقول ان هـذا الاسـتنتاج فيه خروج عن المنهج الذي تتبعه وأنك قمت بإضـافة مفردة من خـارج النص!! أقول كلا!! فـاللبيـب يفهم ان قولـه تعـالى ﴿فكلوا

---

(1) سورة محمد: آية 24.

(2) سورة البقرة: آية 196.

واشربوا﴾ أيضا فيها مفردات محذوفة مثل ﴿الطعام والشراب﴾ فلم يقل الله ﴿فكلوا الطعام واشربوا الشراب﴾، انما قال ﴿فكلوا واشربوا﴾، لان التعبير اللغوي في مفردات اللغة العربية هو تعبير شامل وواضح ويجوز حذف المفردات التي تعتبر زائدة ومطولة بحيث لا تعطي لصاحبها صفة الكمال في التعبير، اذن الامر بحلق الرأس يدل على حلق الشعر وحذفت مفردة الشعر لأنها زيادة في التفصيل لا حاجة لذكرها!! فالرأس في هذا الموضع هو المكان الذي ينبت فيه الشعر، اليس كذلك؟! كلا طبعاً فهذا محال!! والا لوجب علينا ان نحلق رموشنا واذقاننا ونقلع اهدابنا ونتف الباقي كله اليس كذلك؟!

مفردة الرأس ما بين المشهور والنص القرآني

ولأن مفردة ﴿رأس﴾ التي اتحفنا بتفسيرها لنا علماء وفقهاء الامة بحسب المشهور الدارج هي العضو الذي يعلوا الاكتاف ومن خلال اعتمادهم على البديهيات وعرضها على عقولهم النيرة الفذة واهمال تبيانها من النص القرآني مصدر التشريع الرئيسي قد استنبطوا لنا كيفية أداء الصلاة ومقدماتها مثل ﴿الوضوء﴾ بحسب فهمهم لقوله تعالى ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾!!

ويمكن تقسيم الرأس بحسب النص القرآني الى عدة أقسام ريثما نجد له تسمية تتطابق وكينونته كعضو أساسي في الجسم ومشمول بالطقوس والاوامر والنواهي والتشريعات في كتاب الله:

(١) الوجه والاذنين ﴿وهما ليسا جزءاً من الرأس بحسب تعبير القرآن﴾ .

(٢) الرأس من الأعلى ﴿مناطق الشعر التي تغطي اعلى الجمجمة﴾.

(٣) الرأس من الخلف ﴿مناطق الشعر التي تغطي الجهة المعاكسة للوجه﴾ .

(٤) الأجزاء السابقة مكانها بحسب جسم الانسان فوق الرقبة وهي ﴿أي الرقبة﴾ ليست جزء منه.

التباين ما بين الفقه الدارج والمفاهيم القرآنية

ان توصلنا الى نتيجة كون الوجه والاذن ليست جزءاً من الرأس بحسب تعبير القرآن كان من خلال تدبرنا للنصوص السابقة والتي تؤكد على حلق الشعر للرأس والتي قلنا عنها ان الوجه لو كان جزءاً من الرأس لوجب حلقه أيضا وهذا ليس صحيح، ويترتب على هذا الاستنتاج الى ان قوله تعالى: ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ يقصد به الأجزاء المذكورة في النقطة ﴿ 2 و 3﴾ السابقة لقوله تعالى في نص آخر كتعبير عن الرأس ﴿ ولا تحلقوا رؤوسكم﴾، وبالتالي فان الوجه أيضا اذا كان ليس جزءاً من الرأس بحسب تعبير القرآن فهو مشمول بالغسل كله لقوله تعالى: ﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾، هل لاحظتم كيف يؤثر تدبر النص بصورة تفصيلية من خلال منهج لغوي بعيدا عن

البديهيات والمسلمات والروايات وغيرها على التشريع والعقيدة والفقه؟!! بل ان بعض الممارسات التي يقال عنها انها سنن مستحبة إذا ما عرضناها على النص تصبح واجبات فكيف أصبحت مستحبة يتخير الفرد بأدائها او تركها؟! فالوجه بكل تفاصيله يُغسَل والاذن والانف والفم أجزاء من الوجه يجب غسلها أيضا؟!! اليس كذلك؟! ربما... من يدري!!

فوق الاعناق: دقة النص القرآني في التشريع

بقي ان نبحث عن تسميه هذا العضو الذي اجتمعت فيه أجزاء النقاط السابقة والمفردة الدالة عليه، الم تسمعوا في حياتكم جملة من الجمل الكثيرة الاستخدام في حروب السيف والعصور الوسطى وما قبلها ﴿اقطع عنقه﴾ أو ﴿اقطعوا اعناقهم﴾؟!! هل توجد هكذا مفردة في القرآن كونه يسرد بعض القصص التي جرت فيها حروب بالسيف وتواجد فيها انبياء ورسل؟!! لنتابع...

قال تعالى:﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (1).

لماذا قال الله ﴿فأضربوا فوق الاعناق﴾؟!! الجواب: لأن هذه الجملة تُعبّر بحسب اللغة ومدلولاتها عن مجموع ﴿الوجه والرأس﴾ وهذا أن دَلَّ

(1) سورة الانفال: آية 12.

فعلى دقة وبلاغة الخطاب القرآني والتركيز على إيصال المعلومة كاملة من قبل الله لمن أراد ان يتدبر النص بعقله دون الرجوع والاعتماد على من سبق من المفسرين والنحويين وغيرهم، وليخرج من هذا المأزق من يحسب نفسه اهلاً لفهم النص ويصر على تطبيق الشريعة بحسب الموروث!!

❖ اذن فوق الاعناق = الرأس + الوجه ﴿بمجموعها﴾.

نتيجة: العنق ليس جزءاً من الرأس ولا جزءاً من الوجه وما فوق العنق من نهاياته يسمى ﴿فوق الاعناق﴾.

هل تعتبر العين جزء من الوجه؟!

السؤال الذي ربما يؤرق بعض القراء الأعزاء هو: إذا فرضنا ان الاذن جزء من الوجه والانف والفم كذلك بحسب التعبير القرآني اللغوي، فهل العين هي أيضاً تعتبر جزء من الوجه ويجب غسلها؟!! وهل قوله تعالى:﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾(1)، يدل على انني يجب ان افتح عيني حينما أقوم بفعل المسح بالتراب؟! اعتقد أن هذا قد يسبب ضرراً في العين؟!!

الجواب: ان العين التي تقبع داخل الجفن ليست جزءاً من الوجه، فالله تعالى اذ يأمرنا ان نغسل وجوهنا او نمسحها بالتراب فهو يقصد

(1) سورة المائدة: آية 6.

ظاهر الوجه والاجزاء البارزة منه كالأنف والفم الذي من الممكن ان يغسل حتى لو تخلل الماء فيه، ولا يقصد الأعضاء الداخلية للوجه كالعينين الغائرتين في محجرهما داخل الجفن ويكفي غلق العين وغسل الجفن منهما فقط.

لنتابع: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

من يتدبر هذا النص جيداً ويعرضه على قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2].

يفهم جيدا ان قوله ﴿ابيضت عينه﴾ تعني فقدت البصر ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان نفهم النص السابق في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يدل على فقدانهم البصر أيضا كون ابيضاض الوجه شامل للعين إذا فرضنا ان العين جزء من الوجه، وبالتالي فان استنتاجنا الصحيح المقارب للواقع الذي أراد الله ايصاله لنا هو ان العين لا تعتبر جزءاً من الوجه ولكن الجفن جزء منه فيجب غسله حينما نغسل وجوهنا.

---

(1) سورة ال عمران: آية (106 – 107).

(2) سورة يوسف: آية 84.

الفَصْلُ الثَّالِث

الحرب بين آدم وإبليس

هل كان آدم يصلي ويصوم في الجنة؟!

اصـــل العبادات الواجبة التي يقوم بها الناس الذين يعتنقون الأديان السـماوية مكانها وزمانها بعد قضـية خروج آدم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ من الجنة التي جعله الله خليفة عليها في الأرض بوادٍ غير ذي زرع، وقد افترضـنا أن آدم ﴿عليه السلام﴾ قد استبدل الخلافة التي هي من الله بالخلود الـذي هو من إبليس، وهـذا الخلود كـان بمكيـدة من ابليس محكمـة ومتقنـة، بحيـث أراد ان ينزع عن ادم وزوجـه ﴿عليهما السلام﴾ لبـاس التقوى لكي يسـتحكم في سـيطرته عليهم ، ولم يكن لإبليس أي سـلطان على ادم وزوجـه ﴿عليهما السلام﴾ حينمـا كـانـا يرتـديـان لبـاس التقوى، اذن قولـه تعالى: ﴿حرمت﴾ في بداية الآيات او قوله تعالى: ﴿كتب عليكم﴾ بهذه الصـيغ المبنية للمجهول بحسـب تعبير اهل اللغة والنحو، هو تشـريع أرضـي بعد الشـقاء الادمي الذي تحصـل عليه من تلقاء نفسـه وبكامل وعيه دون جبر من ابليس او أي شـخص اخر كما اثبتنا هذا في الفصـول الأولى من هذا المبحث، والسـؤال هو : هل كان ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ يقومان بفعل الصـيام مثلاً او الصـلاة كما نعهدها حالياً بمقدماتها من

الطهارة التي يحلوا لأهل الفقه تسميتها ﴿بالوضوء وغسل الجنابة ..الخ﴾ حينما كانا يسكنان الجنة ؟!!

سنضع جواباً افتراضياً عن هذا السؤال قبل اثباته، فحواه: ﴿كلا لم يكن ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ يصوم في الجنة او يقوم بفعل الصلاة والطهارة بسبب حالته الفسلجية التي خلق عليها وارتداءه للباس التقوى﴾.

والتفصيل لهذا الجواب بعدة نقاط:

1- لم يكن ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ يقومان بفعل الصيام لان الله قال لهما: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾[1].

2- لم يكونا يقومان بفعل التطهير الوارد في القرآن بسبب انهما لم يكونا ذوا هيئة جسمانية مرئية، بسبب ارتدائهما لباس التقوى ، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

(1) سورة البقرة: آية 35.

(2) سورة الاعراف: آية (26-27).

3- بحسب الآية في النقطة السابقة نستنتج ان ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ لم يكن لديهما القدرة على رؤية ﴿سوءاتهما﴾، وهذا يعني ان اجسامهما طاهرةً مطهرةً من فعلِ ﴿التزاوج﴾ وفعلِ ﴿اخراج الفضلات﴾ بسبب الاكل والشهوة الجنسية التي هي فطرة طبيعية جُبِلَ عليها الخلق البشري وباقي المخلوقات الأرضية والكائنات الحية.

4- بالنسبة للصلاة والحج يمكن ان نستخلص شكل معين لهما من قول الملائكة ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾، فنحن نفتري ان شكل العبادة للجن والانس المخلوقات المكلفة العاقلة كان مقتصراً على شكلين:

الأول: التسبيح بحمد الله.

الثاني: التقديس لله.

وهذان الامران منوطان بالمعرفة الفطرية لكل الخلق العاقل بوحدانية الخالق وربوبيته وحاكميته وقيومية ذاته العليا على صفاته واسماءه الحسنى، فلم يكن الله لَيُعصى في ملكوتهِ وعرشهِ وسمائهِ دون توفر هذه الصفات في العاصي له، أي ان عصيان العاصي له لم يكن بسبب نقص معرفة بهذه الأمور ولم يكن انكاراً لأي منها انما كان بسبب شيء واحد فقط وهو: ﴿الغرور وحب الذات﴾!! بدليل إنَّ الخطاب القديم الذي حصل بين الله وابليس في كل جنباته كان ابليس يدعو

الله بقوله ﴿رَبِّ﴾ وهذا ان دل فعلى اعترافه بربوبيته على الرغم من عصيانه لأوامره وتمرده عليها بسبب غروره.

قال تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

فتنة الشيطان لآدم وزوجه

اذن تركزت فتنة الشيطان لآدم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ بنزع لباس التقوى عنهما فأصبحت الحال كالتالي:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

---

(1) سورة الحجر : آية (32-43).

(2) سورة الاعراف: آية 27.

والعِلّة الأساسية من مكر الشيطان ومكيدته التي أوقع فيها آدم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ كانت بحسب النص السابق على عدة اقسام:

1- يقوم الشيطان بفتنة ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾، بأن يزين لهما فعل الاكل من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الاقتراب منها.

2- ينزع عنهما لباسهما ﴿لباس التقوى﴾.

3- السبب: لكي يريهما سَوْءَاتِهِمَا.

السوءة والعورة:

وقد يظن البعض ان مفردة ﴿ سَوْءَاتِهِمَا﴾ هي منطقة العورة في جسم الانسان تماشيا من التفاسير السائدة ولكننا نحب وضع هذه المفردة في مكانها الصحيح كما وردت في النصوص الأخرى، فمفردة ﴿ سَوْءَةَ ﴾ دالة على جسد الانسان الخالي من الروح والنفس والحياة أي الجسد الميت الذي لم تبعث فيه الحياة الأرضية المنوط بها تغييرات فسلجيه على هذا الجسد بعد ان ينزع عنه لباس التقوى.

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (1).

(1) سورة المائدة: آية (30-31).

ولا اظن ان القاتل ينوي ان يواري ﴿منطقة العورة﴾ من جسد أخيه المقتول فقط، انما بعد ان فعل فعلته الشنيعة بقتل أخيه أراد ان يواري جثمانه ﴿جسده﴾ بالتراب فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه، أي جسده، كما أوقع الشيطان بأدم وزوجه ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ بأن نزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما أي ﴿اجسادهما﴾، وبالتالي فعدم استطاعة ادم وزوجه ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ على رؤية اجسادهما يترتب عليه عدة أمور لم يكن يقوم ادم بفعلها عوضاً عن زوجه أيضاً، وهي كما افترضنا سابقاً ﴿الصوم وفعل التطهير﴾ بحسب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تعرى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تضحى﴾[1]، فمادام آدم ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ لا يجوع ولا يظمأ ولا يضحى ولا يعرى في الجنة، فهو لم يقم بفعل الصيام مطلقاً ولم يكن مكلفاً بأدائه كعبادة من العبادات بحيث يمكننا ان نكون واثقين من استنتاجنا السابق في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ بصيغة المبني للمجهول في هذا الموضع وأي موضع آخر هو تشريع ارضي بعد قصة الخروج من الجنة وحصول التغييرات الفسلجية الكاملة على ﴿ سَوْءَةَ ﴾ آدم بحيث اصبح جنساً مميزاً يحمل صفات ذكورية، وزوجه جنساً مختلفاً عنه يحمل صفات انثوية فسيولوجية، بحيث اودعت الذراري في ظهر آدم وامتلكت زوجه الرحم لتحقيق مرور الذرية بظلمات الرحم الثلاث خلال تسعة

(1) سورة طه: آية (118-119).

اشـهر لكي يخرج الانسـان طفلاً لا يفقه شـيئاً ناسـياً انسـياً انسـاناً من الأناسـي بعد ان كان بشـراً معززاً مكرماً في جنةٍ لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى فاستبدل الخلافة بالشقاء والخلود من خلال الذرية من الأبناء والبنات وهكذا دواليك، الى يوم يبعثون.

قال تعالى: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾(1).

مرتكزات مكيدة إبليس لأدم وزوجه

ومن خلال ما تقدم نسـتطيع ان نتبين فحوى مكيدة ابليس وجنده من الشـياطين او نتحرى نتائجها التي حدثت بعد الاكل من الشـجرة واهم هـذه النتائج هي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(2)، فـإبليس وقبيلـه كـانوا يرون ادم وزوجـه ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ وان ادم وزوجـه ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ كـانـا يرونهم جميعـاً من قبـل، بحيـث كـان الحوار يتم بالمباشـرة لا عن طريق الوسوسة ، ولكن بعد ان نَزَعَ لباس التقوى عنهما اصبح ادم وزوجه ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ لا يستطيعان رؤية ابليس والشياطين من

(1) سورة الزمر: آية 6.

(2) سورة الاعراف: آية 27.

قبيلهِ وجنسهِ لقولهِ تعالى: ﴿من حيث لا ترونهم﴾، ويمكن ان نعزو سبب هذه القدرة والاستطاعة على الرؤية من عدمها، الى تباين مواد الخلق فنحن لا نظن ان الجن مخلوقين من نفس مواد الانس لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[1]، وبالتالي فاذا كان الجن مخلوقين من مارج من نار فهم لم يكونوا بحاجة الى ارتداء ما يسمى ﴿بلباس التقوى﴾ لان النار توفر لهم الهالة التي تخفي ﴿ سوءاتهم ﴾ واجسادهم تصبح ذات هيئة وشكل ذو نفاذية للضوء وانعكاس الاشعة، لا كما يحصل من أسباب الرؤية للمادة بعد انعكاس الضوء وعدم نفاذيته من جسم المادة، سواء كانت جماد ام حيوان، وقد يقول أحدهم: وما علاقة كل هذا الكلام بقضية العبادات من صوم وصلاة وطهارة وغيرها مما تم التطرق له في الفصول السابقة؟!!

أقول: هذا كله سيتضح باكتمال أجزاء هذا المبحث، فصبرٌ جميل والله المستعان.

تبعات نجاح مكيدة إبليس

ان خروج آدم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ من الجنة وخلع ما عليهم من لباس يواري سوءاتهما ﴿اجسادهما﴾ يترتب عليه ان تتخذ حياتهما شكلاً جديداً من ناحية الجنس ﴿الذكر والانثى﴾

(1) سورة الرحمن: آية (14-15).

وممارسة الحياة الزوجية ﴿بصورة الشقاء﴾، أي العمل بكد وجهد لتوفير الطعام والمأوى والملبس وممارسة التزاوج كباقي الكائنات والمخلوقات المتماثلة في النوع ﴿الانسان﴾ من الثدييات وشبيهاتها في التكاثر، ويمكن تصور شكل الحياة في الجنة والتكاثر لو لم تحصل قضية الإخراج من الجنة، واعتقد انني استطيع ان اضع جواباً افتراضياً لسؤالٍ طالما احتار في وصفهِ او لم يتجرأ على طرحهِ أي انسان اخر، وهو لو بقي ادم في الجنة هو وحواء فماذا سيكون شكل الحياة، ومن سنكون ﴿نحن﴾ أي ذرية آدم في الأرض؟!!

سؤال جميل اليس كذلك؟! ما هو الشكل الذي سنكون عليه في الجنة قبل خروج ادم ﴿عليه السلام﴾ منها او لنقل لولا خروج ادم وزوجه منها؟!! هل كنا سنكون ونخلق ام كنا سنبقى ذرية هائمة بلا كينونة؟!

رأينا وجوابنا هو كلا!! بل من قال ان وجودنا اقتصر على قضية الخروج ولولاها لما كنا؟!!

البشرية كلها مخلوقة وموجودة وتم اخذ العهود والمواثيق واعدادها لأداء مهمة ﴿الخلافة﴾، والتي هي سبب خلق ادم من قبل، وطريقة التكاثر في الجنة بعد ان اسكن الله ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ فيها كانت ستكون بالنفخ فقط دون تسوية النفس؟!! ولكن الفعل الذي جعل ادم

يقع في المعصــية أدى به الى حمل الأمانة وكان بحمله إياها ﴿جهولا ظلوما﴾ لنفســه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[1].

أي ان جميــع الرجــال مخلــوقين ومشــهد الســجود لآدم (عليه السلام) فــي الحــوارات الأوليــة مــا بــين الله وملائكتــه وابلــيس وادم ونحــن جميعــا كــان مشــهداً متعــدداً ولــيس مشــهداً واحــداً، وأحــد هــذه المشــاهد قــد امــر الله فيــه جميــع الملائكــة بالســجود لآدم (عليه السلام)، ومــن بعــد ادم (عليه السلام) ذريتــه التــي ســتكون خلائــف فــي الأرض﴿جنــة آدم الأولــى﴾، والتــي خلقــت معــه بــالنفخ دون التسوية.

- ❖ سؤال: لماذا تغيرت القصة او القضية وسبب الخلق الأول؟!!
- ❖ جــواب: بســبب فعــل عصــيان آدم لربــه بعــد ان زيــن لــه الشيطان عمله؟!!
- ❖ ســؤال: كيــف كــان للشــيطان نفاذيــة لآدم بحيــث جعلــه يعصي ربه؟!!

جوابــاً علــى مــا ســبق، يجــب ان نفهــم أولاً ان ابلــيس ﴿تلــك الكينونــة العاصــية لله مــن جــنس الملائكــة بعــد ان تحــول الــى حالــة

(1) سورة الاعراف: آية 11.

الفسق فأصبح من الجن﴾، كان مطروداً من الجنة التي اسكن الله ادم وزوجه فيها، فلم يكن بطبيعة الحال يستطيع ان ينفذ بنفسه لآدم ﴿عليه السلام﴾ ويقوم بإغوائه وتزيين فعل المعصية له بأن يأكل من الشجرة!! ولهذا أرسل ابليس أحد جنوده من الشياطين، وطبيعة هذا الشيطان قد تكون من ﴿الجن او من الأنس﴾، وانا أستطيع ان افتري بالقول انه يحتمل الكينونتين بعد ان علمنا من خلال النص السابق بتواجد ذرية آدم ﴿عليه السلام﴾ بطريقة النفخ؟!!

فرضية التكاثر في الجنة

سؤال مهم جداً جداً: كيف تكون ذرية آدم ﴿عليه السلام﴾ متواجدة بأكملها؟! اليس التكاثر يجب ان يكون من أب وأم ونسب وصهر وتزاوج بعلاقة جنسية؟!!

جواب أخطر من السؤال نفسه: ان التكاثر بطريقة النفخ له عدة صفات هي:

أ- التكاثر بطريقة النفخ يكون دفعة واحدة أي بطريقة ﴿كن فيكون﴾ !! قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

(1) سورة ال عمران: آية 59.

2- التكاثر بطريقة النفخ يقتضي ان لا تكون هناك علاقة نسب وصهر بين هذه الكائنات البشرية، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1]، وهذا التكاثر يمكن تشبيهه بتكاثر النباتات عن طريق البراعم والاقلام فالنبات الجديد لا ينتسب للنبات القديم ولا تربطه علاقة امومة به وهكذا.

3- جنس المتكاثرين عن طريقة النفخ فقط لا توجد فيه صفات ذكورية او انثوية لانتفاء الحاجة اليها كوسيلة تكاثر، ولكن هناك ازواج ﴿مُحبَرة﴾ او لنقل ﴿مُحبَرون﴾ كما يعبر عنهم القرآن، ومنهم اشتقت كلمة ﴿أحبار﴾ أي لا يتزاوجون للتكاثر، ووظيفة الزوج هو الاستقرار الذري للكائن بعد ان خلقه الله منفعلاً ثائراً.

مجموع الافتراءات هذه التي نقدمها كفرضيات لندعم هذا المبحث في مسيره لمعالجة كثير من المفاهيم المغلوطة التي يسير عليها المجتمع وربما تجد إنَّ بعض هذه المفاهيم قضى الفلاسفة أعمارهم وافنوها في سبيل وضع تعريف او مفهوم منطقي لإرضاء المجتمع المثقف، ولكننا نُعرِض هنا عن اقوالهم لنتدَّبر ما جاء في القرآن من مفاهيم لتصحيح التاريخ، وهذا قد يكون مقدمة لتصور شكل الحياة في حال لم يعصي ادم ربه بأن منعه من الاقتراب من هذه الشجرة.. ربما!! نحن نظن هذا فقط، لا أكثر ولا اقل!!

---

(1) سورة المؤمنون: آية 101.

ربما يكون ما طرحناه غير مقنع البتة للبعض من المتابعين لما نفتري ولكي نكون أكثر صراحة معكم فان في جعبتنا أسئلة قد تضع الجمهور كله في حيرة كما كان من قبل في سؤالنا السابق عن اننا كنا ام لم نكن لو لم يخرج ادم وزوجه ﴿عليهما السلام﴾ من الجنة؟! ومن هذه الأسئلة المتعلقة بالفرضيات السابقة هو ما يتعلق بإبليس والجن!! ماذا عنهم هؤلاء؟!!

ان الجن بتعريف العامة والمفاهيم الكلاسيكية هم مخلوقات كانوا يعيشون قبلنا في تجمعات واقوام وعشائر ومذاهب واديان!! اليس كذلك؟!!

بل ان في القرآن ما يدعم هذا الفهم او الطرح الكلاسيكي، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا

شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾[1].

فنحن في منهجنا لا نختلف عن هذا القول وما يعضده في القرآن الكريم ولكن يوجد سؤال مهم جداً وخطير جداً جداً!!

اذا كان الملائكة والجن من جنس واحد كما كنا نفتري عليكم منذ اكثر من سنة ونصف من المباحث التي صدعنا بها أدمغة الجمهور والباحثين والمتابعين من الأساتذة وهذا الرأي ﴿ انسبه لنفسي واعتقد به ﴾ فلماذا ان الجن اقوام وطوائف وانساب ﴿ أي انهم من ذكر وانثى﴾ وقبائل وعشائر وفيهم القاسطين ومنهم المسلمين وغير ذلك في حين ان الملائكة لا يوجد عنهم هكذا تصور لا في القرآن ولا في الموروث الشعبي وميثولوجيا العالم القديم الذي ربما انه قد وجد فيه ان جنس الملائكة هو ﴿كونهم

---

(1) سورة الجن: آية (1-13).

اناث﴾ وليس ذكور وقد قال تعالى في هذا الشأن: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرحمن إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ(١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرحمن مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بذلك مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(1).

الجواب: قلنا ان الذكورية والانثوية كحالات فسيولوجية (2) مرتبطة بانتقال طور الحياة من البشرية العليا والتكاثر بطريقة النفخ الى الدنيوية الدنيا ﴿الأنسنة﴾ المتمثلة بالتكاثر الجنسي والشقاء الأرضي، وهذا التصور للحياة البشرية سبقه تصور اخر للحياة الملائكية!! فأن فعل المعصية الذي بدر من ابليس جعل فعل إخراجه من الجنة بأمر من الله قبل فعل الإخراج لآدم وزوجه، وما ترتب على ادم وزوجه ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ من فهم وتصور كان قد ترتب بنفس الطريقة على ابليس ﴿وزوجه﴾ ايضاً!!

---

(1) سورة الزخرف: آية 19.

(2) الفسيولوجيا هو علم دراسة وظائف الأعضاء والأجهزة الحيوية ويتضمن ذلك كيف تقوم الأجهزة العضوية، والخلايا، والجزيئات الحيوية بالعمليات الكيميائية والفيزيائية في الكائنات الحية، يدرس علم وظائف أعضاء الإنسان أو (فيسيولوجيا الإنسان) وظائف الأعضاء من خلال عملياتها الكيميائية والفيزيائية (الميكانيكية) الحيوية لأعضاء جسم الإنسان وخلاياه، والهدف الرئيسي من دراسة علم وظائف الأعضاء هو دراسة أعضاء جسم الكائن الحي والأجهزة التي تكونها Human Physiology Encyclopedia،: الموسوعة البريطانية العربية للتعليم العالي.

لغة أهل السماء

اللغة هي عامل متغير متأثر بطبيعة الشعوب ووجدان البشر وصفاتهم الفيزيولوجية ﴿فسلجياً﴾ والهيكلية التي خلقوا عليها بعكس عوامل الطبيعة الأخرى المتميزة بالثبات والصراع من اجل البقاء بوتيرة ثابتة على حال واحد، فتجد ان المجتمعات المنغلقة أكثر رغبة بالتغيير عن الآخرين من غيرهم، ويستقتلون للحفاظ على اختلافهم هذا ظناً منهم انهم من أصول مختلفة مميزة عن باقي خلق اللّٰه من البشر، وان لغتهم هي لغة السماء الأولى، فنلاحظ مثلا اقوام اصلية قديمة تجد ان لهم مخارج حروف ورسم مميز في كتاباتهم القديمة وطريقة رسمها وتشكليها يزداد تعقيداً كلما كانت قديمة وحتى عدد احرفهم يزداد وقد يصل الى مئات الاحرف المختلفة وقد يكون في بعض اللغات حرف واحد يعبر عن كلمة كاملة بحسب نطقه، وعلى أي حال فأن بعض الباحثين يشير الى أن الرب يتكلم بالسريانية وبعضهم يقول ان العربية هي الأصل، وربما يتكلم الرب بلسان الجن بحسب زعمهم باللغات المنقرضة التي نسمعها في أفلام هوليود واساطير الأرض الوسطى الاوربية، وربما نسي هؤلاء ان هذه اللغات نشأت من انفعالات نفسية وعادات اجتماعية وتغييرات ديموغرافية وبعضها اصبح معقداً بتعقيد الديانات التي يعتنقها الاقوام، وحتى اللغة العربية التي يفتخر بها الإسلاميين لم تكن عدد احرفها 28 حرفاً بل 22 حرفاً تطورت من الآرامية النبطية وفيها احرف دخيلة عليها، فمجموع

الاحرف العربية في جملة ﴿ ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ﴾ ستة مقاطع هجائية مرتبة في جملة من 22 حرفاً هي احرف اللغة العربية التي لم يكن فيها توابع مثل ﴿ثخذ ضظغ﴾ فمن اين جاء بها الرب في قرآنه يا ترى؟!! ربما اعتمد على مقدمة أبن خلدون في علم الاجتماع لكي يوصل الينا المعنى المراد منه التشريع والاحكام؟!! وربما نسي هذا الرب ان ابن خلدون هذا يعتمد على ترتيب مختلف عن المشهور ويرجع الى الفينيقية القديمة وهو ﴿أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست﴾ وبهذا تصبح التوابع بحسب هذا التقسيم الجديد ﴿ثخذ ظغش﴾!! ومع إزالة الاحرف المتشابهة يتبقى لنا من الاحرف الهجائية الاصيلة 20 حرفا فقط، و8 توابع ليست من الابجدية بل هي نتاج اندماج فكري واتحاد جغرافي قبلي سياسي ناتج عن احتلالات وحضارات ابتلعت بعضها البعض وتلاقحت ثقافاتهم ولغاتهم، وبالتالي نقول لهؤلاء الجحاجيح الذي فرضوا على الله لسانا ينفعل ويتطور ويزاد عليه وينقص، ان الله لا يتكلم بلسان المخلوق انما تصل كلماته الى مخلوقاته بصورة هم يفهمونها وان وصلتهم بنسختها الاصلية من الرب لن تكون لغة بحدود الإمكان مطلقاً، أي ان المخلوق الذي تصل لمسامعه يصعق فوراً من هول وقع مخارجها الفونولوجية وترددها الاثيري، حتى وان كان جبريل او ميكال هو المتلقي، فالله لا يتكلم في ذاته بألسن المخلوقات جناً كانوا ام انس ام ملوك، ولا يستطيع أي مخلوق تحديد ﴿ماهية﴾ لسان الرب الذي ينطق به

وكلماته التي لا تعد ولا تحصـــى، ونحن نعلم ان بعض اللغات القديمة مثل المسمارية[1] كلغة وكتابة وصلت الى 4000 مقطع مكتشف او أكثر واندثرت في العهد البابلي الحديث الى 600 مقطع فقط!!

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[2].

والمداد هو الحبر الذي يمد القلم بطاقة الرسم لكتابة الحرف وتشكيل الكلمة، ولكم ان تتخيلوا حالة الانفنتي من مقاطع الكلمات واللغات التي يتكلم بها الرب تعالى والتي لا تحيط بها لا سـريانية ولا عربية ولا يابانية ولا فينيقية ولا يونانية، ولمن يقول ان هذه الأبحاث حصـرت اللغة بعدد المقاطع او المشاهد التي ذكرت في الكتب السماوية للأديان الابراهيمية، أي مجرد كلام الرب مع ادم مثلاً في مشـهد السـجود في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَـقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[3]، او مشـهد الدخول للجنة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْـكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِـئْتُمَا وَلَا

---

(1) عامر عبد الله الجميلي . منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق- 2005 .

(2) سورة الكهف: آية 109.

(3) سورة الكهف: آية 50.

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، فنقول ان هذا يدل على قصور فهم المقطع في عقل الباحث، لأنه حصر كلام الرب بهذه المشاهد فقط، كما اشتبه من قبله الفلاسفة والحكماء في عقائدهم سابقاً ان الرب كان ساكتاً ثم نطق!! في حين انه من الناحية الفلسفية لا يوجد سكوت الا عن نطق قبله، وإذا حصرنا مشاهد خلق الكون لوحدها في ستة أيام وكل يوم مقداره ﴿خمسين ألف سنة﴾ فهذه 300 ألف سنة مما نعد ونحصي بإدراكنا وحواسنا القاصرة، فكم من حديث قد دار بين الرب وما خلق خلال هذه السنين فقط بما لا يمكن حصره بكتاب او حاسوب او قاعدة بيانات او أرشيف، ناهيك عن ان كلام الرب يكون دائما ذو جدوى وتأثير وانفعال، وليس كلاماً معبراً عن عواطف ووجدان، فالله سر الوجود خالق الكون وما يحوي من مفاهيم وكائنات وموجودات، وخالق ذراتها التي تجمع فيما بينها وتؤلف بمجموعها كوناً متسقاً متناسقاً باهراً نيراً منضوياً تحت ظل عرشه جل وعلا، وتسخير هذا الكون بمخلوقاته لآدم ﴿عليه السلام﴾ ونسله كان من حكمة الله تعالى ولطفه بمخلوقاته، والملاحظ للنص القرآني الذي نعود لنتدبره مرات ومرات لكي نفك شفرة والغاز مفرداته انه خطاب ازلي قديم يبرر حكمة الخالق

(1) سورة البقرة: آية 35.

في أمره للملائكة بالسجود لآدم ﴿عليه السلام﴾ بعد ان وضح لهم قصورهم في تسنم منصب الخلافة على الأرض.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [1].

لنتدبر بتفصيل وتركيز:

1- قال يا ادم انبأهم بأسمائهم: هو نبأ وليس خبر معلوم بل امرٍ منضوٍ في غياهب السماوات والأرض متعلق بهما ومنفعل بكينونتهما بحسب قراءة ما بعده من نص.

2- فلما انبأهم بأسمائهم: يشتبه البعض ان هذا النبأ هو اشارة لمخلوق قديم أقدم من الملائكة أنفسهم في حين إذا لاحظتم ان مفردة نبأ تدل على ما سيكون وليس ما حصل وفي حياتنا اليومية نستخدم مفردة المتنبئ الجوي كخبير فيما سيطرأ من تغييرات جوية في قادم الأيام.

3- قال الم اقل لكم أنى اعلم غيب السماوات والأرض: هذه الجملة السببية ما بين مفردتي ﴿فلما – قال﴾ هي علة الخطاب بأكمله ومرتبطة بما قبلها من نتائج حتمية حصلت بسبب ما قام به ادم

---

(1) سورة البقرة: آية (33-34).

﴿ عليه السلام ﴾من فعل ﴿انبأهم بأسـمائهم﴾ التي تعتبر في صـميم مهمته وتكليفه ﴿خلافة الأرض﴾ فالأسماء كانت جزءا من علم الغيب للسـموات والأرض المرتبطـة ارتبـاطـاً وثيقـاً بمهمـة ادم ﴿ عليه السلام ﴾ وتكليفه.

4-واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون: ان الاعتقاد بأن الملائكة مخلوقات مسَّيرة تفعل ما تؤمر فقط بدون تفكير او اختيار او مشيئة يفنده هذا النص وينسفه بالكامل، فالملائكة كانت تبدي أمراً وتخفي امراً أعظم، وان ارتباط ما كانت الملائكة تخفيه ظاهراً بعلم الأسماء كلها واضح جداً، بل وان دلَّ ما بعده من نصوص الامر بالسجود بسبب إفحامهم بعلم لا قبل لهم به.

وهو ليس امراً ساذجاً مقتصراً على مجموعة أسماء او القاب صورها الموروث لنا وكأننا في مشهد لسجل الحضور والغياب او تسجيل في دائرة النفوس، الأسماء هي كل اسم يطلق على كينونة جديدة ومفهوم لناتج جديد في الكون، فكل شيء في الكون هو في صراع مع ذراته وتثوير هذه الذرات يخرج لنا ناتجاً جديداً، لقد جاء أينشتاين بنظرية ﴿سرعة الضوء﴾[1] كإحدى النظريات لتفسير الظواهر الطبيعية من حولنا والتي

---

(1) Evenson, KM; et al. (1972). "Speed of Light from Direct Frequency and Wavelength Measurements of the Methane-Stabilized Laser". Physical Review Letters. 29

احتار بها الفلاسفة على مدى الاف السنين، فقد افترض أينشتاين اعتماداً على من جاء قبله من العلماء في نظريات الضوء والانعكاس على ذرات التراب، انك حينما تنظر الى المرآة فان صورتك تنعكس اعتمادا على الضوء الساقط على المرآة المنعكس منك، وبما ان الرياضيات تعتبر من العلوم التي تتعامل مع الأرقام، ولغة الأرقام اكثر اقناعاً من أي لغة أخرى ودليلها هو الأقوى، لذا فقد افترض أينشتاين ان لهذا الانعكاس سرعة محسوسة يمكن قياسها!! أي ان انعكاس صورتك في المرآة الناتج من حركة الضوء نحو المرآة ورجوعه الى عينك لتراه، له سرعة ممكن قياسها بالأرقام والاصفار واجزاءها، ولكي تكون هذه النظرية أكثر مقبولية تخيل أينشتاين انه جالس في قطار وامامه مرآة في قطار اخر، فلو سار القطارين بسرعة انعكاس الضوء من المرآة الى العين فأنك سوف لن ترى صورتك في هذه المرآة لان محصلة السرعة بين القطارين = صفر.

من المؤســف جدا ان هذه النظرية قد بقيت بلا فائدة ومركونة لمدة 20 عاما قبل ان يتم استثمارها في تخصيب اليورانيوم الذي كان يعطي نتائج مختبرية لا يمكن تفسيرها من قبل العلماء الى ان استعانوا بهذه النظرية، حيث تمكنوا أخيرا من فك شفرة القاتل الجهنمي الذي يعطي الحياة ويعطي الموت للملايين في عشرة اعشار أجزاء الثانية.

5- نستطيع الاستنتاج من النص السابق أنه لا يوجد شيء اسمه ﴿سجود عبادة﴾ و ﴿سجود تكريم﴾، أي ان السجود بذاته هو تكليف وتسخير واحترام، اشبه بطاعة ولي الامر، فسجود الملائكة لآدم ﴿عليه السلام﴾ وتكرار

الامر من الله في عدة مشاهد ذكرها النص القرآني يدل على التأكيد على تنفيذ أوامر خليفة الله على الأرض، والا فما الداعي للتكريم المتعدد بل ما هو وجه عدم امتثال أوامر التكريم؟! فالقضية هي شكلية لا أكثر ولا اقل ولا يترتب على التكريم عارض مادي إذا ما تماشينا مع الموروث الشعبي والروائي في هذا الامر، اما إذا قارنا أصل وعِلّة خلق الجن والانس، فإن الله قد حدد هذه العِلّة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فهل تختلف طرق العبادة وشكلها ما بين الجن والانس يا ترى، ام اشتبهت على القوم طقوس العبادة وشعائرها بسبب التمذهب والانعزال عن باقي خلق الله بتحزبات تدَّعي احقيتها على غيرها من العالمين؟!!

أهمية الثورة في المفاهيم والعقائد

لماذا يعتبر ﴿ثورة المفاهيم﴾ من المباحث المهمة والتي يجب على القارئ الكريم التأني في قراءته، ووضع قراءته الخاصة دون الرجوع للموروث الروائي والأحاديث المفسرة للنص القرآني؟! كما ان كتابتنا للفصول السابقة حينما كانت منشورة كحلقات على مواقع التواصل الاجتماعي كانت تسير بخطى بطيئة في انتظار رد فعل واقعي على مستوى الحدث من قبل أحد الأشخاص المتابعين والذين يقرأون ويتابعون ما نفتري بين الحين والأخر من مباحث اجتماعية وفلسفية

(1) سورة الذاريات: آية 56.

وعقائدية، ولكن مع شديد الأسف نلاحظ ان الجمهور لا يأخذ الموضوع المطروح على محمل الجد في مسألة العقائد ولكنه يتفاعل مع المواضيع التاريخية، في حين ان تصحيح العقائد اهم من تصحيح التاريخ، ونحن اذ نبحث في التاريخ انما نرغب بالاستفادة من تجارب السابقين لبناء مستقبل سعيد للأجيال القادمة عوضاً عن انتظار مخلّصين من ﴿حالة اجتماعية سلبية﴾ خلقها الناس انفسهم وهذا كمن يضرب نفسه ويدميها ولا يعالج جرحه، انما ينتظر من يأتيه ليداوي هذا الجرح بحسب روايات جاءته من الماضين تتنبأ بمستقبله التعيس، ولا يدري هذا المسكين ان الحاضر التعيس الذي يعيش فيه لا دخل للماضين به انما سببه هو نفسه ومن يعيش معه في بودقة واحدة، ولكي ندخل في صلب موضوعنا سنحاول وضع منهج نسير عليه في هذا الطريق سائلين المولى ان يلهمنا من لدنه علما نتزود به ليعيننا على فهم ما أراد ايصاله لنا في محكم كتابه الكريم القرآن، ولكي يفهم القارئ الطابع العام لهذا المبحث سنضع له عدة نقاط لتبيان منهجنا منذ اول مباحثنا العقائدية في كتاب المائدة المستديرة الى فصول هذا المبحث السابقة ﴿ثورة المفاهيم وتصحيح التاريخ﴾:

أ- منهجنا الواضح والذي لا نحيد عنه ونسير عليه منذ البداية هو عدم الاخذ بالرواية لتدبر مفردات ونصوص القرآن الكريم لكثرة الكتب والمؤلفات على مدى 14 قرناً ماضية في هذا

المجال ومن باب معالجة ما وصلت له الامة من تيهٍ وضلالٍ وبُعدٍ عن كتاب الله ومضامينه، والذي برأينا ان سببه هو ﴿اتخاذ الآراء الشخصية واراء أخرى مذكورة في الروايات لتفسير النص بعيدا عن الحقيقة الواضحة التي نحاول تبيانها من خلال تدبر كتاب الله﴾.

2- عدم الاخذ بالترادف في كلمات الله الواردة في القرآن.

3- عدم الاعتماد على المعاجم التي اغلبها يعتمد في تبيان معنى المفردة من خلال اجتهادات علماء سابقين وروايات وهذا القرار يتداخل مع النقطة الأولى السابقة.

4- سنسير بخطى واثقة في تدبر نصوص القرآن الكريم مع ايماننا أن القرآن غير محرف البتة، وأن ما بين أيدينا هو القرآن نفسه الذي انزله الله على نبينا الكريم محمد ﴿ﷺ﴾.

5- أؤكد في هذا المنهج انني لست ممن يؤمن بالباطن ولا اعمل به في تدبر القرآن، والسبب ان منهجي وعقيدتي تقول لي بأن القرآن هو رسالة الله للبشر وهو يصلح لكل زمان ومكان، وأفضل طريقة لتدّبر القرآن وفهمه هو الاعتماد على القرآن نفسه ومقارنه ظاهر نصوصه بباقي النصوص واسقاطها على

الواقع الجغرافي والتاريخي لكي نصل الى فهم مطابق للواقع الذي أراد الله ايصاله لنا، فمن أفضل من الله ليحدثنا عن نفسه ورسله وبيان تشريعه كما سنرى في هذا المبحث؟!

6- هذا المنهج الذي نتبعه عمل به كثير من العلماء الى جانب تأليفهم كتب وتفاسير دارجة على المنهج الاخباري الكلاسيكي.

7- هذا المنهج في الفترات الكلاسيكية لم يكن يلاقي رواجا لدى الناس وفي زمننا هذا بدأ الناس يعون ويدركون مقدار صحته مقارنة بكتب التفاسير الرائجة في الوسط الديني والسبب في رأينا هو وسائل التواصل والبحث المتطورة وتوفر الانترنت والكتب الالكترونية مما سهل على الباحث والقارئ الدرس والتطور في مستوى الفهم والفكر والمعرفة وهذا من لطف الله بعباده في هذا الزمن.

الذكر والادكّار

أذن مع هذه النقاط ونقاط أخرى نُعرِض عن ذكرها حالياً وربما تتوضح ضمنياً من خلال سيرنا في البحث سنزيل الابهام عن كثير من اللبس الحاصل لدى المتابعين لما نكتب، والذين اطلعوا وواكبوا الانفعالات في مقالاتنا وابحاثنا السابقة وادّكاراتنا المتتالية التي ترافقها افتراءات من عند نفسي طبعاً، وأكرر انني لا الزم بها أحدا انما ابتغي وجه ربي فيها فقط، ولكي نوضح لكم لماذا نكرر مفردات الافتراء

والادّكار، وهل الادّكار فعل محبب لندعو الناس اليه؟!! سنتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1]؟!!

من خلال النص السابق والذي يتضمن مفردات معدودة ولكنها تحمل منهجاً الهياً أراد الله من الامة أن تسير عليه في تدّبرها لكلماته في القرآن الكريم، لنتابع:

- ❖ النص ظاهِرُهُ يذكر إنَّ الله ﴿يسر القرآن لِلذِّكْرِ﴾ فماذا يعني هذا؟!!
- ❖ لدينا ثلاث مفردات لنتدبرها ﴿يسرنا + القرآن + لِلذِّكْرِ﴾.

فماذا يريد الله أن يقول لنا من خلال هذا النص وما هي الرسالة الواجب ان نفهمها من هذه المفردات الثلاث؟!!

ماذا يعني ان القرآن ميسر لِلذِّكْرِ؟!! الم يخبرنا المفسرون أجلّهم الله وأدامَ بركاتهم وفيوضاتهم على هذه الامة المعطاء المسلوبة الحول والقوة أن القرآن هو نفسه الذِّكْرَ؟! وبالأخص من خلال تكرارهم لأحاديث وروايات ﴿حفظ القرآن من التزوير﴾ والانتقاص من باقي الديانات بأن كتبهم السماوية كونهم ﴿اهل كتاب﴾ لم يتعهد الله بحفظها!! ولهذا فالإنجيل محرف والتوراة محرفة والزبور محرف والتلمود محرف ولا توجد أي وثيقة او مخطوطة او رقيم طيني مكتشف فيه نصوص من

(1) سورة القمر: آية 22.

السماء تدل على انها ﴿توراة او صحف إبراهيم او زبور داود﴾!! ولكن القرآن والذي يسميه الله الذِّكْرَ هو محفوظ بحسب قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]!!!

عجيب أمر هذه الامة، وعجيب كيف يؤمنون برب يحفظ 120 ألف لوح مسماري ومئات الالاف من الرسومات الصورية على حوض النيل ويعتقدون انها نصوص وثنية لآلهة وانصاف الهة وميثولوجيا قديمة لأقوام ابادهم الله!!

أي رب هذا الذي يحفظ في كبد الأرض رقيمات الوثنية ويتلف رقيماته الخاصة ونصوصه المقدسة، فقط لكي يقول لـ 6 مليار نسمة يقطنون الأرض في القرن الواحد والعشرين أن القرآن محفوظ وباقي الديانات كتبها محرفة؟!! نعم وأيضا ديانات زيوس وحورس وامنحوتب وعشتار واورزبابا وشمش، ونسي أصحاب هذه العقيدة شيئا مهما!! أن قرآنهم الذي يؤمنون به لم يصلهم مكتوباً بخط من نزل عليه ولا بخط من عاصروه بل لا يوجد لديهم كتاب واحد عمره يدل على عمق التاريخ الذي يؤمنون به، ولم يرثوا قرآنهم هذا أباً عن جد، بل حينما ولدوا وجدوه مطبوعاً بورق ابيض وبآلة طابعة حديثة و ﴿يوزع مجاناً﴾ ويدرس في منهاج مدارس بلدانهم المجانية التعليم أيضاً؟!!

كيف آمنوا بالله وكيف آمنوا بالقرآن وكيف آمنوا بالتاريخ؟!!

---

(1) سورة الحجر: آية 9.

الجواب: زَقَّتهم المؤســســات الإســتكبارية المُهَيمِنَة على وعي منطقة الشـرق الاوسـط الحاوية لكل اسـرار التاريخ ﴿الأرضــي﴾ في كبدها هذه العقيدة زقّاً من خلال أكبر مؤسسة إعلامية يتبناها الغرب لطمس هوية المسلم الابراهيمي الحنفي الحقيقي!!

اذن نرجع لســؤالنا بعد انفعالنا القهري هذا، ماذا يعني ان القرآن ميسر لِلذِّكْرِ؟!!

أولاً: ان هذا النص يدل على ان القرآن الذِّكْرَ كينونتان منفصــلتان عن بعضهما.

ثانياً: ان هذا النص فيه إشارة مهمة الى أن القرآن ميسّر وليس معسّراً!! ميسّراً لكينونة الذِّكْرَ!! فما هو هذا الذِّكْرَ يا ترى؟!

لنتابع:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾[2].

من يتمعن في ظاهر هذا النص جيداً يلاحظ ان هناك مفردة تحل اللغز والاشــكال كله في كون القرآن والذكر كينونتان منفصــلتان، فالإنزال جاء للذكر وجاء للقرآن في هذه النصوص ولكن الفرق ان القرآن نزله الله على ﴿المخاطب﴾ في هذه الآية لوحده!! ماذا يعني هذا؟!

(1) سورة الحجر: آية 9.

(2) سورة الانسان: آية 23.

يعني ان الـذِّكْرَ هو كينونـة مشــتركـة بين النبي محمـد ﴿ﷺ﴾ ﴿المخاطب﴾ وبين انبياء وشخصيات أخرى ذكرها القرآن ام لم يذكرها، في حين انـه تفرّد في أن القرآن نزل عليـه فقط، أي ان الله لم ينزل القرآن على محمد وعيســى وموســى ﴿عليهم السلام﴾، انما انزل القران على محمد ﴿ﷺ﴾ وانزل الفرقان على موسى ﴿عليه السلام﴾ وانزل الانجيل على عيسى ﴿عليه السلام﴾ وهؤلاء الرسل والانبياء كتبهم مختلفة ويشتركون بأن الله انزل عليهم ثلاثتهم ﴿ذكراً﴾ والقرآن ﴿ميسر﴾ لِلذِّكْرِ!!

القرآن كتاب يعبر عن وجهة نظر الرب

لماذا يعتبر الناس أن القرآن الكريم هو عبارة عن نصــوص تعبر عن وجهة نظرهم للأمور لكي يفهموها وليسـت نصــوص تعبر عن وجهة نظر من أرسل هذه النصوص للبشرية؟!!

ولكي يكون كلامي أكثر ايضــاحاً ســأطرح مثالاً معيناً: إذا أراد أحد الأشـخاص الذين يعيشــون في أوربّا وهو من أصــول غربية ان يرســل ﴿رسالة﴾ الى شخص يعيش في الشرق الأوسط وهو من أصول عربية ويحاول صاحبنا الغربي الأوربي أن يصف جمال الطبيعة والبحر والشجر والكائنات والســماء والأرض بســهولها وهضــابها ونباتاتها والحوادث التاريخية التي حصلت فيها.. الخ، هل ستكون هذه الرسالة من وجهة نظر المتكلم الأوربي ام من وجهة نظر المتلقي العربي الشرق اوسطي؟!!

ان من يستطيع الإجابة بصورة منطقية على هذا السؤال يفهم لماذا نُعرِض عن البواطن والمجازات والروايات؟!! لان كل التبريرات للنصوص القرآنية تعبر عن وجهة نظر المفسر والتي لا تتجاوز حدود المناطق التي رآها بنفسه ووعاها بعقله القاصر امام علم الله سبحانه وتعالى، فكل ما لم يفهمه المفسر في زمنه أعطاه صفة المجاز او قال هو كلام له باطن ولا يمكن لاحد فهمه، لان هذا المفسر الجهبذ يعتقد في قرارة نفسه كما هو شأن علماءنا وفقهانا في هذا الزمن انه اعلم اهل الأرض وإذا لم يفهم هو النص فلن يفهمه أحد غيره!! متناسياً صاحبنا الجهبذ هذا ان الله سبحانه يقول: ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1]، وان طريق العلم والمعرفة مسيرٌ تكاملي غير منقطع كما هو رزق الانسان ينقطع بموته فقط!!

أن هذه الاطروحة تضع لكم قاعدة لتدبر القرآن في المستقبل وقد نقوم بتطبيقها منهجياً في المباحث القادمة بصورة ادَّق، ولكي يفهم بعض الاخوة ان تعدد المناهج المطروحة لتدبر القرآن لا يعتبر سلوك لمهاجمة باقي المناهج الكلاسيكية، ولهذا فلا داعي للحزن او اتخاذ وضعية الدفاع الهجومي عن منهجك الذي تؤمن به مقابل ما نحاول ايصاله للناس من مباحثنا، لديكم مناهج وكتب بعدد شعر الرأس فهل استوفت هذه الكتب والمناهج ما موجود في القرآن كله وتوصلت الى

(1) سورة العلق: آية 5.

فك شفرة ولغز كتاب الله؟!! هل حصل وان كان هناك كتاب تفسير قد وضـــح للعامة من الجمهور ماذا أراد الله من الناس من خلال نصـــوص القرآن، ام أصبح واقع الامة الإسلامية مزرياً وأصبح بعضهم يكفر بعضاً بل ويستحلون دماء بعضهم البعض؟!!

دعونا اخوتي ننســى ما في الكتب للحظة ونحاول فهم القرآن من منظار جديد ولا بأس بما نفعل ان كان يصــب في المصــلحة العامة ولا يتعدى على خصوصية الاديان والمذاهب والعقائد الأخرى.

عرض لنتائج تحليل مفردات الذكر والقرآن

ولكي نكمل تدبرنا سنستعرض ما توصلنا له:

1. القرآن انزل على محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وهو ميسر للذِّكْرِ.
2. الذِّكْرَ كينونة منفصلة عن القرآن.
3. الذِّكْرَ عامل مشترك بين كل الأنبياء والرسل ﴿عليهم السلام﴾.
4. الـذِّكْرَ جزء لا يتجزأ من القرآن وباقي الكتب التي نزلت على اهل الكتاب.
5. لقد تعهد الله بحفظ الـذِّكْرَ والذي هو كينونة منفصـــلة عن القرآن ولكنه في نفس الوقت جزء لا يتجزأ من كلمات الله فيه وفي باقي الكتب السماوية.

❖ نتيجـة: كـل كتـب السماء محفوظـة بحفـظ الـذِّكْرَ الموجـود فيهـا ومـا تـم تغييـره فيهـا هـو ﴿تحريـف الكلـم مـن بعـد مواضـعه﴾

بدليل وجود كثير من النصوص القرآنية في تلك الكتب نفسها ولكن بلسان من أنزل عليهم وليست بلسان قوم محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾، وكثيرا ما تجد نصوصا قرآنية تشير الى هذا الامر كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**﴾[1]، او قوله تعالى: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾[2]، وغيرها من النصوص الأخرى.

القرآن ميسر للذكر

لماذا يكون الفرد الذي يعتنق الإسلام هو فرد تائه؟!!، ولماذا المسلمين منشقين وغير متطورين تكنولوجياً؟!! وخاصةً إذا ما علمنا ان كتابهم ميسر للذكر وفيه تبيان لكل شيء ومفصل تفصيلا؟!!

ولقد ذكرنا سابقا ان قولنا فيه تبيان لكل شيء ومفصل تفصيلاً، لا يدل على كل ﴿شيء﴾ من الموجودات المادية والاجتماعية والمعرفية والتاريخية، انما فيه تبيان لكل شيء بما يخص الشريعة المحمدية، وكل حادثة مذكورة فيه عبارة عن

(1) سورة الاعراف: آية 157.
(2) سورة البقرة: آية 211.

تبيـان للأسـباب المنطقيـة للتشـريع، ولكننـا نقـف لنتـدبر قضـية ﴿ان القـرآن ميسـر للـذكر﴾ فلمـاذا تاهـت المعـاني والمفـردات عـن القـوم إذا كـان القـرآن قـد نـزل بلسـانهم ويفتـرض انهـم يفهمـون معانيـه دون الحاجـة الـى كتـب تفسـير مـن الاعجميـين أمثـال ﴿الطبـري والسجسـتاني والبخـاري والكلينـي والمجلسـي والقمـي والشيرازي.. الخ﴾؟!!

السبب انهم اضاعوا الذكر!!

وباقي الاقوام من أصحاب الرسالات في العالم عملوا بالذكر الذي يسر لهم فهم نصوص الكتب السماوية وطبقوها جيلاً بعد جيل لكي يصلوا الى حـالـة الرفـاهيـة المجتمعية من خلال تطوير الفرد والبنى التحتية لمجتمعاتهم المدنية، وانا مسؤول عن كلامي فهل من مدّكر؟!!

ملاحظة: كتب السماء السابقة هي كتب تطبيقية ودساتير وتوجيهات اجتماعية وقوانين تنظيمية وفيها من قصص السابقين بما يتناسب مع الشريعة في هذه الكتب.

فما هو الذكر بحسب وجهة نظر قرآنية؟!!

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[1]، فالذكر يتلوه الله على نبيه كما يتلو عليه آياته ومن صـفات الذكر انه حكيم والقرآن ميسر للذكر الحكيم.

(1) سورة ال عمران: آية 58.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1].

والذِّكْرُ هو صفة الرسول ﴿ﷺ﴾ التي تميزه عن باقي القوم ولهذا ينعتوه بالمجنون ﴿أي مختلف عنهم في التصرف والمنهج والعقيدة وينسب الى كونه به جنة من الجن والمجنة﴾، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[2].

لاحظ معي ان الله يفصل بين الذِّكْرَ والقرآن ويصرح بأنه قد علّمَ نبيه كينونتين من خلال اظهارهما على المجتمع يتهم بها النبي اما يكون ﴿شاعراً واما مجنوناً واما ساحراً﴾ .

وهذا يدل أيضا على استبعادنا لكون الذِّكْرَ شخصا او أداة مادية انما هو كينونة قد يسّر الله القرآن لها ف الذِّكْرُ حكيم والقرآن مبين.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (43)وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[3].

والذِّكْرُ الذي انزل على محمد ﴿ﷺ﴾ خاص بمحمد وبقومه فقط ولكل نبي انزل عليه ذكر خاص به وبقومه او من أرسل إليهم كرسول من عند الله وسوف يسأل الله القوم عن هذا الذِّكْر ان هم ضيعوه ولم يعملوا به!! ﴿وسوف تسألون﴾!!

(1) سورة الحجر: آية 6.
(2) سورة يس: آية 69.
(3) سورة الزخرف: آية 43.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[1].

والفرقان الذي انزل على موسى وهارون ﴿عليهما السلام﴾ انزل الله معه ذكراً خاصاً بموسى وهارون ﴿عليهما السلام﴾ وقومهما من بني إسرائيل وملأ فرعون بلسانهم المختلف عن بعض وبلسان قومهما المختلفين، فكانت مهمة موسى ﴿عليه السلام﴾ صعبة جدا لأنه مرسل الى عدة اقوام ولهذا كانت مهمة هارون ﴿عليه السلام﴾ هي الوزارة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

ولكن ما الذي تقوله يا رجل؟!! اليس القرآن هو الذكر الحكيم وهو الفرقان نفسه؟!!

هذا هو لسان حال من يتبع الموروث الشعبي والروايات واراء المفسرين دمج عدة مصطلحات قرانيه وردت في عدة نصوص والقول انها كلمة واحدة وذات دلالة معنوية واحدة او مجازاً او هي مفرده لها من البواطن ما يحمّل سبعين بعيراً ومن هم امثالي من البسطاء لن يستطيعوا الوصول الى هذه البواطن ولو حفروا تحتها ألف بئر نفط؟!!

(1) سورة الانبياء: آية (48-50).

اليس هـذا هو التحريف بعينـه والتزوير لمعـاني القرآن الكريم بـل لازلت أؤكد ان ما أقوله وانسبه لنفسي من تدبر لا يعدو كونه ظن مفترى من عند نفســي لا الزم به أحدا ولا ادعي انه من عند الله ولا ادعوا أحد لتصـديقه او العمل به كفقه وتشـريع وحاشـا لله ان ادعي ما ليس لي به علم والله ربي اسـأل ان يلهمني من لدنه علما لا ينبغي لاحد من بعدي لدحض اقاويل المحرفين لكتابه وذكره الحكيم.

اذن الفرقـان ومعه الـذكر هو كتـاب موســى ﴿عليه السلام﴾، ولكن مـاذا عن التوراة؟!! اليســت التوراة هي كتاب موســى ﴿عليه السلام﴾ واليهود يـدعون انهم يملكون التوراة؟!!

نعم، فكما اخفى اليهود الذكر وابقوا على نصوص التوراة واحتكروها وقالوا هذه هي التوراة كما نزلت فقد فعل المســلمون نفس فعلتهم، اعطونـا كتـابـا مطبوعـا على ورق واخفوا الـذكر عن العـالمين واحتكروا التدبر لحديثهم وروایاتهم فقط، فالتوراة هي نصوص نزلت قبل موسى ﴿عليه السلام﴾ ولكنها لم تكن مخفية عنه، أي ان التوراة لم تنزل على موسى ﴿عليه السلام﴾ انما نزل عليه الواح وفرقان وذكر، ولديه نصوص التوراة ليحكم بهـا أيضـــا، والنـبي محـمـد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ مـاذا لـديـه؟!!قـال تعـالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهدى وَا لْفُرْقَانِ﴾(1).

---

(1) سورة البقرة: آية 185.

اذن القرآن الذي انزل على النبي محمد ﴿ﷺ﴾ في شهر رمضان، فيه بينات من ﴿الهدى﴾ و ﴿الفرقان﴾ الذي انزل على موسى ﴿عليه السلام﴾ ولكن كيف يفهم النبي محمد ﴿ﷺ﴾ الفرقان الذي انزل على موسى ﴿عليه السلام﴾؟!!

من خلال الذكر الذي يسر الله القرآن له هدى وضياء للعالمين، فمن يملك الذكر هم اهل الذكر، وهذه لفظة ليست خاصة بفئة معينة عاشت في زمن معين مرتبط بالقصة الكلاسيكية لنشوء الإسلام، انما اهل الذكر هم كل من لديه ﴿الذكر﴾ الذي يسر الله له كتبه السماوية في كل مرحلة من مراحل النبوة والكتاب، في عهد موسى ﴿عليه السلام﴾ يوجد اهل للذكر وفي عهد عيسى ﴿عليه السلام﴾ يوجد اهل للذكر وفي عهد محمد ﴿ﷺ﴾ يوجد اهل للذكر وفي القرن الحادي والعشرين يوجد اهل للذكر.

قال تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1].

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هذا الْقُرْآنَ على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّه ﴾[2].

(1) سورة طه: آية 114.

(2) سورة الحشر: آية 21.

منهجية فهم نصوص القرآن

أن هذا الكتاب العظيم كما يصـــفه الله في الأمثال التي يضـــربها للناس في نصوصه يحتاج الى قلوب نقية وذهن متفتح وعقل راجح من أجل تدبر كلماته بل أن من يجتهد لتدبره يكون هادياً له في طريقه الدنيوي والاخروي سعيداً من الشقاء النفسي والضغوطات الاجتماعية لأنه ببســـاطة يهب للناس الطمأنينة والراحة ويزرع في قلوبهم الحب والعلم والمعرفة، ولكي نستطيع تدبره وندّكر ما فيه يجب أن نفهم أولا ماذا يعني القرآن، وما هو الذكر الذي من خلاله يمكن للناس ان يدّكروا القرآن به، وما هو الادّكار ﴿بتشديد الدال﴾، وعطفاً على ما بدأنا تحليله من نصـــوص قرآنية نكمل بحثنا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّـرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، التي وردت أربع مرات في ســورة القمر ﴿الآيات – 17 – 22 – 32 – 40﴾ وكنا قد توصلنا الى نتيجة مفادها أن القرآن والذكر كينونتان منفصلتان مع مشتركات وقواسم فيما بينهما، فالقرآن ميسر للذكر والذكر موجود في القرآن ككلمات أيضـــاً ولكن اين هو الذكر يا ترى إذا كان ما بين أيدينا من المصـــحف هو القرآن نفســه؟!! وكيف يمكن ان نفهم أي تشـــريع في القرآن من خلال الـذكر دون الرجوع للمفسرين والروايات والحديث والسيرة والمعاجم؟!!

الجواب: أن سر فك شفرة آيات القرآن الكريم يكمن في انه يفسر بعضه بعضاً بحيث لا يمكن لأي شخص ان اعتمد على هذا المنهج أن يختلف

مع شـــخص آخر في المعنى، وأنك إذا اســتخرجت معاني الكلمات من النص نفســه ســوف لن تجد أي اختلاف ولن يقع أي خلاف، ولكن إذا اعتمدت على قول البشـر في تفسـير قول الرب ونصــوص القرآن ماذا يحصل؟!! سيدب الخلاف والتناحر وعدم الفهم وتحريف الكلم من بعد مواضعه!! ولكن لماذا يحصل كل هذا؟!!

لأن المفسرين ينظرون للنص على انه عبارة عن جمل وردت لهم من وجهـة نظرهم هم ﴿كعرب ومسـلمين﴾ وليســـت من وجهـة نظر ﴿المُرسِل﴾ الذي هو الله نفسه، ولهذا فوجهات نظر المفسرين مختلفة ولكن وجهة نظر ﴿المُرسِـل﴾ هي واحدة ولا يمكن الاختلاف فيها الا ﴿جدالاً ومراءً﴾.

لنحلل الموضـوع بصـورة ادق مع الأدلة من القرآن لنفهم ما هو الذكر وأين يوجد:

منطقنا الســابق يقول إن كل ما نزل على محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من وحي يوحى هو قرآن ولكن ليس كل ما نزل على محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من وحي وقرآن هو ذكر، فكما أسـلفنا سـابقا أن الذكر عامل مشـترك بين محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وباقي الأنبياء والرسل والاولياء ﴿عليهم السلام﴾ يستخدمونه عند الحاجة لتأويل نصوص الكتاب او يعملون به بحسب تكليفهم، وأن ما تعهد الله بحفظه ليس الكتاب ولا القرآن او الانجيل او التوراة، انما هو الذكر ﴿العامل المشترك﴾ بين الجميع من هؤلاء آنفين الذكر!!

قد يقول قائل: وأين الدليل على ما تقول وتجتهد في محاولة اقناع الناس به؟!!

سنقوم بتفصيل الموضوع ليتيسر فهمه بأبسط ما يمكننا بتوفيق من اللّه ومَنِّه علينا.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ماذا نزل الى الناس يا ترى لكي يستخدم الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ما انزل اليه من ذكر ويبين لهم ما نزل إليهم؟!!

ان الملاحظ اللبيب لهذا النص يفهم من خلاله أن ما عند النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من ذكر انما هو ﴿ليبين للناس من خلاله ما نزل إليهم﴾!! أي ان الذكر أداة تبيان لشيء آخر، وهذا الشيء الاخر الذي نزل الى ﴿الناس اجمعين﴾ هو القرآن الكريم، وعلّة هذا التكليف بتبيان نصوص القرآن الكريم من خلال الذكر للناس كافة وليس للمسلمين خاصة انما هو ﴿لعلّهم يتفكرون﴾.

ولهذا جاء التوجيه من قبل اللّه بسؤال اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون في عدة نصوص من القرآن الكريم، فأهل الذكر تكليفهم هو تبيان النص لمن اشتبه عليه والتبس في أمره، وكما قلنا إن أهل الذكر هم

(1) سورة النحل: آية 44.

فئة معينة من الذين آمنوا قد يكونون في زمننا هذا او في زمن آدم ونوح ﴿عليهما السلام﴾ او في زمن محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لا فرق انما هم اهل الذكر الذي من خلال استخدامه يمكنهم تبيان نصوص القرآن الكريم!!

❖ سؤال وشبهة تتبادر الى الاذهان:

هل الذكر مثلاً الذي نزل في زمن موسى ﴿عليه السلام﴾ خاص للنصوص التي في زمن موسى ﴿عليه السلام﴾ فقط ام يصلح في كل زمان ومكان؟!!

منطقنا المفترى يقول: ان اهل الذكر في أي زمان يسألون بعضهم بعضا ويرجعون الى بعضهم البعض بدليل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (1).

أي انت ومن معك اسألوا اهل الذكر أن كنتم لا تعلمون وهم أيضا يأخذون منك على فرض الحياة والزمن المشترك فيما بين اهل ذكر ذلك الزمن والمرحلة الانتقالية التي جاء فيها محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وانزل عليه القرآن والذكر، وكما ضيع أهل ذلك الزمن الذكر الذي انزل على انبياءهم أيضا فقد ضيعت امة محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وقومه ذكرهم الذي انزل على نبيهم.

(1) سورة النحل: آية 43.

قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[1].

فأصحاب الكتاب ليسوا اقل شانا منا نحن المسلمين في عملية تضييع الذكر الذي أنزله الله لنبيه ليبين لقومه كتابهم الذي انزل إليهم والى الناس كافة رحمة للعالمين يهدي به الله من يشاء من عباده من آمن منهم وعمل صالحاً.

وأن الذكر الذي في مصحفنا الذي يسمى ﴿القرآن﴾ فيه ذكر محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وذكر من قبله من الرسل ﴿عليهم السلام﴾ جميعاً والذي تعهد الله بحفظه من الضياع والتلف والتحريف، وهذا ما يفسر لنا تشابه النصوص في كثير من كتب الأديان السماوية والابراهيمية على حد سواء، ويفسر لنا كثيراً من الحوادث التأريخية التي يحاول بعض الباحثين من الاحزاب اللادينية ايهام المجتمعات استدلالاً بالأثر انها سرقت قصص الاولين من الواح ورقيمات أقدم منها!!

فنصوص كل الأديان والانبياء من الذكر هي محفوظة بحفظ الله وموجودة في المصحف الذي بين أيدينا ﴿القرآن الكريم﴾ وقد يحل هذا أيضا إشكالية القول ان القرآن عربي ولكنه يحوي على نصوص

(1) سورة الفرقان: آية 18.

سـريانية او عبرانية او اعجمية، لتشـابه المقطع الصـوتي لفظاً وتركيباً وبناءً مع نصوص في كتب أخرى أقدم من القرآن نفسه!!

قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (1).

فهم عميق للذكر وأهله

وقد يكون معنى الذكر مبهماً لحد الآن بسـبب عدم توفر مسـاحة كافية من البحث لكل شـاردة وواردة في هذا الموضـوع ولكن يمكن ان نتبع منهجاً أكثر تبسيطاً في تتبع سياقات النص القرآني لفهم وتمييز مفردة الذكر التي تعهد الله بحفظها، والتي قلنا في بداية بحثنا عنها ان علّة الذكر هو لتبيان ما لم يستطع الناس فهمه من نصوص كتابهم الذي انزل إليهم مع بذلهم الجهد الكافي لتدبره، وهنا يأتي دور أهل الذكر لتبيانه لهم كتشـريع معين يرومون معرفة السـبب وراء سَـنه عليهم، مثال: ﴿لماذا حرم لحم الخنزير﴾، وهنا يأتي دور الذكر لتبيان هذا النص التشريعي والعلة من وراءه، وهو كما عبرنا عنه سابقا ﴿وجهة نظر الرب في تفسير نصوص القرآن الكريم الذي أوحى به الى نبيه﴾ .

اذن الذكر تأويل ألهى وليس تأويل معاجم بشرية وروايات وأحاديث، فكل ما قاله البشر مهما اجتهدوا وقال الناس بعصمتهم وعلمهم فهو

(1) سورة الانبياء: آية 24.

يبقى كمالاً منقوصاً امام كمال الله العظيم وعلمه، فمن أحسن من الله في تبيان كلامه الذي انزله هداية للعالمين، ولكن الامة مع شديد الأسف التزمت بحرفية التزوير وتضييع الذكر الحكيم أسوة بباقي الأمم والاقوام من اهل الذكر والكتاب الذي انزل إليهم، أي اننا لم نخرج عن جادة طريق الشيطان الذي اختطه للناس وضيعنا صراط ربنا الرحيم الذي جعله لعباده الصالحين مستقيماً غير ذي عوج.



الفصل الرابع

الذكر والقرآن

أن هـذه الفصـول التـي كتبتهـا لكـم حينمـا كانـت منشـورة كحلقـات فـي مواقـع التواصـل الاجتمـاعي قـد يظـن الـبعض مـن المتـابعين لهـا انهـا عشـوائية ووليـدة صـدفة ولا تعبـر عـن مـنهج قـويم، وانمـا هـي اقتباسـات مـن هنـا وهنـاك، فمـنهم مـن يعـرض عنهـا ومـنهم مـن يحـاول نصـحنا مشكوراً ومـنهم مـن يسـتعجل فـي ابـداء النقـد، والـبعض يحـاول إيصـال معلومـة للجمهـور المتـابع انـه يفهـم مـا سـنكتبه لـه او سنسـطره مـن كلمـات فـي المسـتقبل رجمـاً بالغيب طبعـاً، ومـا بـين هـذا وذاك فـأن الكاتـب لـن يفهمـه أيـاً كـان الا مـن تـابع كتاباتـه منـذ بـداياتها، واذَكّـِر القـارئ الكـريم إنَّ مبحـث ﴿ثـورة المفـاهيم﴾ هـذا مـا هـو الا تكملـة للجـزء الثـاني مـن كتـاب ﴿المائـدة المسـتديرة﴾ والـذي قلنـا للمتـابعين الاكـارم فـي صـفحة ﴿183﴾ منـه اننـا سـنكمل مـا جـاء فيـه فـي مبحـث أكثـر شـمولية واقتـبس منـه: وان مـن قـام بفعـل التحريـف هـم كـل الاقـوام ﴿يهـود ونصـارى وصـابئة ومجـوس وإسـلام ﴾ ولكـن لـم يسـتطع أحـد مـنهم تبـديل كلمـات الله ﴿ لا مبـدل لكلماتـه﴾ وهـذا ملخـص لمـا نعتقده، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (1).

ولكي نفهم كيف اختلفت تسميات الكتب السماوية الحاوية لكلمات الله التامات لا مبدل لكلماته يجب ان نخوض في تفاصيل أكثر دقة مما يجعلنا نتوسع بالمبحث أكثر ولعلاقة مسألة تبيان الفرق بين كتب الله التي انزلها على انبيائه بمبحث المائدة المستديرة سنبدأ على بركة الله بوضع عدة مرتكزات ننطلق منها في تدبر جديد.

وعطفاً على ما سبق من هذا المبحث وما توصلنا له من نتائج فيه من أن الامة الإسلامية ومفسريها لم يخرجوا عن منهج من سبقهم من الأمم في هجران وتضييع الذكر المحفوظ، والذي قلنا ايضاً انه كلمات الله التي نزلت على كل الرسل والانبياء وهو وسيلة ﴿التبيين﴾ لهم وما يستخدمه اهل الذكر لتبيان الكتب السماوية وفحواها للناس، وكنا قد توصلنا أيضا الى ان الذِكْر عامل مشترك بين القرآن وباقي الكتب السماوية وبما أن القرآن فيه ذِكْر، اذن ما في الكتب التي قبله من ذِكْر موجودٌ فيه أيضاً ومحفوظٌ أيضاً، وبالتالي القول بتحريف كتب باقي الأديان السماوية مردود على أصحابه بصريح القرآن الكريم وآياته ان

(1) سورة النساء: آية 82.

كانوا يعتمدون في التفسير على القرآن نفسه وكلماته لا على الروايات والأحاديث والسيرة والمعاجم وما شابه ذلك.

كما أن وجهة نظر الانسان لكتاب الله وكلماته حينما يحاول تفسيره يسمى تأويل وهذا التأويل راجع للرأي والاجتهاد فهو عامل بشري ناقص وليس كامل، ولكننا افترينا فيما سبق من ابحاث أن القرآن نزل من وجهة نظر من أرسله وانزله للناس هدىً ونوراً وضياءً، وبالتالي سيكون تأويل الله للأحداث هو ما نحاول ان نتدبَّره منذ البداية وهو ما يسميه الله ﴿ذِكْراً﴾، قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [1].

أن المتدبر اللبيب لهذا النص يفهم مباشرة حين قراءته أن أي كلام ونصوص ترد بعد مفردة ﴿ذكراً﴾ في هذه الآية ماذا يكون؟!! فهل الجواب صعب لهذه الدرجة؟!! هل نحتاج لروايات وأحاديث واراء مَن قبلنا لنجيب الله يوم المحشر إن سَألنا عن نصوص قرآنية بسيطة وميسرة وبلساننا؟! بل ما يزيد الطين بِلَّة في أفكار القوم أنهم يعتقدون أن النبي جاء في فترة لا يتم فيها تأليف الكتب والقراطيس وليس

(1) سورة الكهف: آية 83.

هناك أي تدوين سوى لوريقات على رِقٍ وجِلدُ غزال عبارة عن كلمات بخط يعبر عن أمية من كتبه، فهو ليس خطاط ولا يمتهن مهنة الاعتناء برسم الحرف، مجرد وثائق لا ترقى ان تكون قد صدرت عن مدينةُ عِلْمٍ ولا عن الكُتّابِ والخطاطين للدولة التي غزت ثلثي العالم فقط باسم محمد والإسلام!! وكأنهم لا يعلمون أن كتب اليونان وكتب السريان وكتب النبط وكتب اليمن وجداريات مصر والعراق وشيراز وفينيقيا الشام والبتراء والروم كلها كتب في الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وكافة العلوم الأخرى كانت في نفس فترة نزول القرآن وتواجد نبي القرآن، بل أن القرآن كان كتابا ينافس في شهرته أشهر الكتب على المستوى الثقافي للعصر الساساني في محتواه ونصوصه وقد أطلق الله فيه تحدياً صريحاً لكل الأمم افلا يتدبرون، قال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ على أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (1).

فهل هناك أبلغ من هذا البيان والتبيان من قبل الله؟! فأين يا ترى الكتب المنسوبة للنبي ﴿ﷺ﴾ من غير القرآن والتي لا نقول انه قد خطها بيده أو يمينه، ولكن لماذا تأخر تدوين ما جاء به الرسول محمد

(1) سورة الاسراء: آية 88.

﴿ ﷺ ﴾ من حديث وتفسـير وتأويل ان وجد يا ترى؟!! لماذا لم يُجمع إرث النبي ونحن نعلم ان أي نتاج علمي لأي شخص عالم ان لم يجمعه بنفسه فسيقوم طلابه المقربين بذلك، وفترة ﴿23﴾ عام من عمر النبوة ليست فترة هينة وخاصة أن نبي الإسلام ﴿ ﷺ ﴾ بحسب ما يقولون هم [1] انه ﴿مدينة العلم﴾!! فهل مات محمد ﴿ ﷺ ﴾ وماتت هذه المدينة معه وترك لنا قرآناً يتنافس على تفسيره كل مذهب وكل حزب بما لديهم فرحون؟!

وعلى العموم فأن قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ التي وردت في النص السابق تدل على وجود نص من القرآن بعد هذه الكلمة بالذات هو ﴿ ذِكْر﴾ ولكن ما قد علق في الاذهان والتبس على القارئ الكريم هو كيف نميز ما في القرآن من نصوص بين ما هو ذكر وما هو قرآن؟!! أنا أقول لكم:

1. كل ما في القرآن هو كلام الله ويسمى قرآن.
2. القرآن هو مقروء كلمات الله التي انزلها لنبيه عن طريق الوحي، وحينما يُقرأ بلسان محمد ﴿ ﷺ ﴾ يصبح قرآناً.

(1) أجمعت الشيعة على تواتر حديث مدينة العلم وصرّح بعض كبار علماء السنّة بحسنه، ومنهم من صحّحه كمحمد بن جرير الطبري، والحاكم النيسابوري، والخطيب البغدادي، وجلال الدين السيوطي، وقد أدرج صاحب كتاب الغدير قائمة تضم إحدى وعشرين محدثاً من محدثي أهل السنة بين محسن للحديث ومصحح له.

3. الذِكْر هو نصـوص من القرآن المقروء بلسـان محمد ﴿ﷺ﴾ ولكنه يتميز بأنـه نص قد ورد جواباً على سـؤال او تـأويـل ﴿تـبيان علّة﴾ للنص والـذي التبس واشـتبـه على النـاس فهمـه، ولهـذا تـرد عـدة نصـوص يتقدمها كلمة ﴿ويسـألونك﴾ أي يسـألون النبي﴿ﷺ﴾، ولكن النبي ﴿ﷺ﴾ لا يجيبهم من خلال قوله هو وحديثه ورواياته ليفسر لهم اسئلتهم!! لماذا يا ترى؟!

الم يتبادر الى اذهان احدكم من قبل لماذا ترد في القرآن كلمات ومفردات تدل على أن القوم يسألون النبي ﴿ﷺ﴾ أسئلة عن مفردات وردت في القرآن بلسـانهم ولغتهم ولكنهم لم يفهموها وبـالتـالي المفروض بحسـب السـيرة للنبي ﴿ﷺ﴾ انه لديه ﴿حديث ورواية – وقرآن﴾ فلماذا جاء الرد في القرآن او لماذا انتظر الرسـول ﴿ﷺ﴾ نزول وحي عليـه ﴿ليبيّن﴾ للنـاس مـا التبس عليهم من مفردات مثـل ﴿ويسـألونك عن السـاعة – ويسـألونك عن ذي القرنين – ويسـألونك عن الروح ... الخ﴾، هل فيكم من مدّكر؟!

مضار القراءة العشوائية

هناك نوعين من المتابعين القراء للمقالات الخـاصـة بتدبر القرآن الكريم والتي يكتبها الباحثون في هذا الشـأن بغض النظر عن كونهم مختصـين أم غير مختصـين، فهناك متابع يقرأ ليبحث عن حقائق

مغيبة لم يعثر عليها او يجد لها سبيلاً في كتب التفسير الكلاسيكية، ويمكن القول عنه انه باحث بشغف يقرأ كل ما هو جديد ومترابط وكل من يعطي ادلة منطقية ويستدل بأدوات معروفة غير معقدة ولا فلسفية، فهذا المتابع الباحث عن الحق والحقيقة يتطور فكره وذهنه كلما تعمق في الأسئلة والردود التي يطرحها من باب التعلم وليس محاولة اثبات الذات!!

النوع الثاني من القراء تجده يقرأ لينتقد ويظهر للآخرين انه ﴿فاهم كويس﴾، وامثال هذا الشخص يقرأ بضعة أسطر في المقدمة او يأخذ نظرة عامة عن المبحث ليضع في ذهنه بدايته ونهايته مع العلم ان كاتب المبحث لم ينهيه بعد!! وصاحبنا هذا في مسيرة ثقافته قد تعرض لنكسة نفسية منشأها القراءة العشوائية لكتب أكبر من مستواه العقلي كان يقرأها لا لشأن وغاية له فيها انما ليثبت للأخرين أنه قادر على هضم وفهم أي شيء في مجال العلوم الصرفة والمادية وقد تكثر مثل هذه الضربات النفسية للفرد ولكنها تظهر واضحة جلية في العلوم الفلسفية والعقائدية والفقهية كثيرا، ولهذا يصبح من يتبنى هذا الطرح ان كانت قراءته عشوائية ولمجرد اثبات ذاته على اقرانه ﴿ذو لوثة فكرية﴾ فهو يتصيد ويتحين ويحاول بشتى السبل أن يضع للناس فكرة من شطحات ذهنه التي اصطدم بها ولم يجد لها جواباً، وكمثال على هذا اضربه لكم: هناك من يقرأ لنقاشات في الزمن الغابر حصلت

بين علماء الصوفية والمعتزلة وهذه النقاشات في ظاهرها لربما يتخيل القارئ لأول وهلة انها حسمت لجهة معينة، ولكن في داخل العقل لم تحسم المسألة، فطريقة عمل العقل مختلفة عما يتصور صاحب هذا العقل، ولأن وظيفة العقل هي ﴿المدخلات والمخرجات﴾ وليس اتخاذ القرار والنية المعقودة في القلب ثم تخرج منه الى محل ﴿الصادر والوارد﴾ الاختيارية في الصدور ثم تصدر الى العقل، وهكذا..

ويحاول العقل ان يخرج هذه المعلومات التي لم تحسم في ذهن صاحبه على شكل أسئلة وادّكارات وهمية غير صادقة وغير باحثة عن هدف معين في تصميمها انما فقط لأبرزا هوية الشخص ونيل حظوة اجتماعية، أي باحث عن القشور، وقد ميز القرآن الكريم هذه الشخصيات بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هذا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورً﴾ (1)، والتذكر هنا لا يعني استرجاع معلومات منسية!! فتذكر المعلومة أمر متحصل حتى للحيوانات والكائنات الحية وهذا قد اثبتته مختبرات التجارب البيوكيميائية والحسية.

مشتقات مفردة الذكر في النص القرآني

ولكن ما هو الفرق بين قوله ﴿يذّكر﴾ و ﴿يتذكر﴾و ﴿يذْكُر﴾

يتذَكر: من بعد نسيان باستخدام ذاكرته.

(1) سورة الاسراء: آية 41.

يذْكر: سرد للمعلومات في حديث او نص او خطاب.

يذّكر: هذه المفردة ستكون محور بحثنا وهي دائما ما ترد مع ﴿أولوا الالباب﴾في استخدامهم الذكر لتأويل الاحداث والنصوص!!

ولكن الله سبحانه وتعالى يميز مفردة ﴿يتَذَكَّرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (1).

فتيسير الله للقران بلسان نبيه محمد ﴿ﷺ﴾ باستخدام الذكر ليبين للناس ما هم فيه مختلفون، لأن لسان النبي ﴿ﷺ﴾ ظاهراً هو لسان قومه ولكنه مختلف عن لسانهم بكونه ﴿مبين﴾ ولسان قومه ﴿غير مبين﴾ ولسان اعرابهم ﴿أعجمي﴾ اذن القرآن بلسان النبي ﴿ﷺ﴾ المبين ليبين للناس النصوص التي اختلفوا فيها من خلال استخدام الذكر ﴿ليتذكروا﴾ عسى ان تنفعهم الذكرى!! فمن هو القادر على استخدام الذكر يا ترى؟!

جواب ضعه في ذهنك: من يستطيع استخدام الذكر هو من ﴿يدّكر﴾ واسمه ﴿المدّكر﴾بتشديد الدال.

وهذا المدّكر غير مشمول بالنص الذي اوردناه سابقا ونعيد قراءته مرة أخرى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هذا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (2).

(1) سورة الدخان: آية 58.

(2) سورة الاسراء: آية 41.

وكما بينا في بداية حديثنا ان هناك صنفين ممن يقرأ:

الأول: لا تزيده قراءة القرآن الا نفوراً.

والثاني: حينما يقرأ القرآن يدَّكَرَهُ ليفهم تأويله من خلال استخدام الذكر الذي فيه!! ولهذا سماهم الله أهل الذكر وقال عنهم في كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ - بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1).

وان اقتطاع النص السابق وقراءته منفصلاً يجعل محتواه مختلفاً عن مادته التي أراد الله ايصالها للناس، فأنت أن قرأت الآية متصلة يتضح لديك ان هناك أدوات يعمل بها اهل الذكر وهي ﴿البينات والزبر﴾:

- فالبينات لتبين لهم.
- والزبر لتهذيب المعلومة من خلال نصوص أُخَرْ.

ومن صفات هؤلاء المدّكرين من اهل الذكر هي العلم بل الرسوخ في العلم وليس العلم المصطنع الظاهري. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (2).

(1) سورة يوسف: آية 109.
(2) سورة ال عمران: آية 7.

وواضح جداً من هذا النص أيضا ان الراسخون في العلم يقولون كل من عند ربنا ﴿أي القرآن والذكر﴾.

وستجد في بحثك بين آيات القرآن ترابطاً ما بين هذه المفردات في كل نصوص القرآن تقريبا ﴿الذكر – المدكّر – العلم – التبيين﴾.

فأهل الذكر يجب ان يكونوا راسخين في العلم ومن اولو الالباب ويعملون بالبينات والزبر ومن المدكّرين لنصوصه وهذا الكلام كله بحسب النص القرآني ولكن ربما يقول قائل إنك لم تأت بجديد ومجرد قيامك بتطويع النص لا يعني ان الناس قد فهمت المراد منه.

ولكي نزيل الابهام عن الموضوع برمته لنتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (1).

الادكّار هو الشعور بالمعلومة التي في ذهن الانسان واستخدامها في تأويل الاحداث، وهي مفردة ليست خاصة بالنصوص القرآنية فقط انما تستعمل حتى في الاحداث اليومية، وهي ليست من الخوارق والمعجزات والغيبيات وبواطن النص المقدس، انما هي صفة من يتصف بأنه ذو لب وحكمة في التصرف ولديه من سعة الاطلاع ما يكفي لتأويل الاحداث والانفعال معها بحكمة، لنتابع قوله تعالى:

(1) سورة القمر : آية 22.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [1].

أن من يتدبر هذا النص جيدا يلاحظ ان الفعل الذي قام به صاحب النبي يوسف ﴿عليه السلام﴾ الذي كان معه في السجن ونجى منه هو فعل ﴿الادكار﴾ فقوله ﴿ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يدل على انه قد استرجع معلومة لم يكن قد نسيها فقط انما قد زالت من ذهنه تماما وكأنما انها قد شطبت!

وان من يتابع النص من منظار أوسع ويرجع لبداية القصة نلاحظ أن من شطب هذه المعلومة من ذهنه بالكامل هو ﴿الشيطان﴾!!

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [2].

ففي قصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ وصاحبيه السجن حصلت حادثة تأويل الاحلام التي قام بها يوسف ﴿عليه السلام﴾ مما علمه ربه من تأويل الأحاديث وتفسير الاحلام، ولكن الفترة التي قضاها يوسف ﴿عليه السلام﴾ مع ابيه قبل ان ينفى مع السيارة لم تكن كافية ليتعلم كل ما عند يعقوب ﴿عليه السلام﴾ من علوم، وللعلم انا لست ممن يقولون بالعلم اللّدني الغير متصل

(1) سورة يوسف: آية (44-45).
(2) سورة يوسف: آية 42.

بالأسباب والمسببات والذي ينسب للأنبياء والاولياء، انما العلوم والمهارات هي نوعين: ذاتية ومكتسبة والذاتية خاضعة لقوانين السببية ولا تحصل لمجرد ان الانسان له قرب من الله، ومن يتتبع قصص الأنبياء يجدهم في شقاء ورحيل وتعب وابتلاء دائم ليكتسبوا بجهدهم العلم والمعرفة، وعلى أي حال فمن يتتبع قصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ يعرف جيدا أن تأويله للأحلام مختص ﴿بالأطعمة والاشربة وما اشتقت منه كالحنطة والابقار وغيرها فقط﴾ وليس بكل شيء من فلك وموارد طبيعية وأمور اجتماعية وعسكرية وجوية.

اذن النسيان الذي حصل للذي نجى من صاحبي يوسف ﴿عليه السلام﴾ هو شطب للمعلومة بالكامل وليس نسيان يمكن معه التذكر بمجرد ان يتأمل الانسان والا فقضية النجاة من السجن ليست هينة بل أن صاحبه الذي صلب بمجرد ان يتذكره او يرى عائلته سيتذكر مباشرة قصة يوسف بأكملها في السجن فلو كان نسياناً عادياً كمن ينسى ان يجلب معه الخبز للبيت فلماذا ﴿لبث في السجن سنين﴾؟! اين كان عن يوسف كل هذه الفترة ولماذا لم يذكره وكيف تذكره يا ترى؟!

ما هو فعل الادّكار؟! وما علاقته بالذكر؟!

توصلنا الى عدة نقاط مهمة في بحثنا هذا وطرحنا عدة أسئلة بقيت معلقة دون جواب لكون هذا المبحث بحاجة الى تمحيص معلوماته جيدا قبل طرحها على الجمهور، ومن هذه النقاط هو ان فعل ﴿الادكّار﴾

الذي ذكر في قصة الفتية ﴿صاحبي السجن﴾ الذين سجنا مع يوسف ﴿عليه السلام﴾ لا يعني استحضار معلومة قد نسيت من الذهن كمن ينسى ان يشتري سلعة معينة من السوق على الرغم من انه قد يراها ورآها عدة مرات امامه!! فصاحب يوسف ﴿عليه السلام﴾ انّى له نسيان قصة بأكملها أدت الى نجاته من السجن وفيها شخصية اثارت الجدل لمن هم في السجن لكرامته وعلمه وسحنته المختلفة عن باقي السجناء، كونه ربيب قصور ومُلك ومن قوم غير أصحاب الأرض التي عاش فيها؟! فهل نسيان ذلك الفتى كان نسياناً عادياً أم انه شطب للمعلومة بالكامل؟!

قلنا انه قد نسي القصة بالكامل من ذهنه وبالتالي فأن الله سبحانه وتعالى حينما يذكر في النص القرآني فعل الادكّار فأن ما قبله كان نسياناً بالكامل!! فلنتابع قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (1).

وهذا الفتى الذي نجا هو ليس يوسف ﴿عليه السلام﴾ انما هو ثاني اثنين من الفتية أصحاب يوسف ﴿عليه السلام﴾ في السجن بدليل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (2).

---

(1) سورة يوسف: آية 45.

(2) سورة يوسف: آية 42.

وهذه الآية تصور لنا علاقة يوسف ﴿عليه السلام﴾ بربه وعلاقه أصحابه بأربابهم في ارض الارباب المتعددة التي كانت في صراع دائم مع ارض الرب الواحد التي جاء منها يوسف ﴿عليه السلام﴾ مع السيارة التي التقطته من غيابت الجب، فارض الرب الواحد هي ارض ابائه من قبل إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب ﴿عليهم السلام﴾ ولهذا كان تكليف يوسف ﴿عليه السلام﴾ ان يهدي اهل تلك الأرض الى الرب الواحد الله العلي العظيم رب الارباب كلها.

اذن فالإدكار جاء بعد ان شطبت المعلومة بالكامل من ذهن الفتى الذي نجى، ولكن كيف ادكّر وتذكّر يا ترى؟!

جواب مؤقت: أن فعل الادكّار جاء بعد ان حصل أمامه موقف مشابه لما حصل معه في السجن، انتهى..

التحريف والتزوير لا يعني تبديل الكلمات

ربما يتوهم البعض ممن يتابع هذا المبحث دون تدقيق فيما نكتبه منذ البداية اننا نفتري على علماء الامة الإسلامية بأنهم قد بدلوا كلمات الله وحرفوها حينما نذكر بين الحين والأخر كلمة تزوير او تحريف، فقولنا إن كهنة الأديان دائماً هم من يتولون مهمة تغييب الحقائق عن العامة فهذا لقربهم وسيطرتهم على المؤسسات الدينية، وعلى الرغم من أنهم سعوا سعياً حثيثاً لتحريف كلمات الله ولكنهم لم يستطيعوا ﴿تبديل هذه الكلمات﴾ اطلاقاً!! قال تعالى:﴿لا مبدل

لكلماته﴾، فهم لم يبدلوا أي كلمة او حرف من القرآن ولكنهم غيروا معاني المفردات عن طريق الاجتهاد بآرائهم فيها ودعمهم لأرباب المعاجم التي تضع اكثر من معنى واحد للمفردة بحيث يضيع مراد الكلمة الاصلية التي وردت في النص وهذا ما قال عنه الله جل وعلا : ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**﴾[1]، أي انهم غيروا معاني الكلمات فقط ولكن طلب وتحصيل المعنى الصحيح من بين هذه التحريفات والتشويهات ليس أمراً مستحيلاً ولكنه لا يخلوا من مشقةٍ للطالب الجدي عن العلم والمعرفة والحقيقة المغيبة بظلم أتباع الشيطان لأنفسهم واتّباعهم اهوائهم من اجل الحفاظ على كهنوتهم، وبالتالي فأن اغلب هؤلاء العلماء الجحاجيح قد غيروا من معنى مفردة ﴿الذكر﴾ الى ﴿القرآن﴾ فالذكر عندهم بالأجماع والتواتر هو القرآن نفسه!! واي مفردة وردت فيها كلمة ذكر فأنها تعني القرآن [2] بحسب اجتهادهم ﴿من شاء فليراجع التفاسير لمختلف المذاهب﴾ وحينما ضيعوا على الامة مفردة الذكر ضاع معها فعل الادكّار أيضاً المرتبط بالذكر، فالمدّكر هو من يستخدم الذكر لتبيان الامر، وحينما يقول تعالى ﴿الذكر﴾ فانه

(1) سورة المائدة: آية 41.

(2) لقد اختار هذا التفسير الزمخشري في كشافه، وللعلامة الطباطبائي حديث يشبه هذا في تفسير الميزان، كما ورد ايضا في الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي /ج ١٥ / الصفحة ٤٢٣، وغيره من كتب التفسير لمختلف المذهب إشارات واضحة لعدم التفرقة بين مفردتي (الذكر والقرآن) من حيث الدلالة والسياق في كل نصوص القرآن الكريم.

يعني ﴿الذكر﴾ وحينما يقول تعالى القرآن فأنه يعني القرآن، فلماذا تحرفون الكلم من بعد مواضعه؟!! وكما يمكن استخلاص البناء اللغوي لمفردة ﴿القرآن﴾ من قوله تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن﴾ وتحصيل معناها من خلال شكل المفردات المتشابهة شكلاً وبناءً معها ومن خلال ورودها في نصوص واضحة ومبينة ومفصلة تفصيلاً وميسّرة حسب وصف الله لكتابه الكريم، فكذلك يمكن استحصال معنى وبناء مفردات أخرى مثل ﴿الذكر والمدكّر﴾ بنفس الطريقة والمنهج وهي طريقة علمية متحصلة لكل فرد واعي ولبيب ولكنها تحتاج الى بذل جهد طبعا، وهذا ما نحاول جهد الإمكان ايصاله للقارئ الكريم من خلال تدبر القرآن وعرض هذه المفردات على نصوصه لفك رموزها بتأني وعدم استعجال، وسترون كيف أن الله دقيق جدا في تعبيره لتبيان معاني مفردات القرآن الكريم من خلال نفس نصوصه فلا حاجة للرجوع الى معاجم وتفاسير قد اكل عليها الدهر وشرب واغلبها محرف ومدسوس ولا يمس الواقع التطبيقي لدستور السماء، وانوه مرة أخرى انني لا أقول ان ما اطرحه هنا هو الحق او هو من عند الله او كتبه الذليل ﴿أسامة البدران﴾ ليفتري انه من عند الله ولا هو استنباط وفقه ليعمل به انما هو تدبر قرآني امتثالا لقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (1).

(1) سورة محمد: آية 24.

نتيجة 1: القرآن والذكر كينونتان منفصــلتان ولكنهما مرتبطتان ببعض ويكمل بعضهما البعض.

نتيجة 2: العمل بالذكر من أجل تبيان نصوص القرآن هو فعل ﴿أدّكار﴾.

نتيجة 3: القرآن هو نصــوص خاصــة نزلت على محمد ﴿ﷺ﴾ والذكر هو نصوص عامة لم تنزل على محمد ﴿ﷺ﴾ فقط انما على غيره من الرسل.

❖ ملاحظة خطيرة جدا يرجى الحذر عند قراءتها: الذكر موجود قبل القرآن وعمل به رســل آخرين ولكنه جزء من القرآن أي ان نصــوص القرآن حاوية للذكر كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[1]، فما بعد هذه الآية من نصوص هي ذكر.

ولكن قد يقول أحدهم: وما الدليل على ما تطرحه من نتائج وملاحظات؟!!

الدليل هو:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴾[3].

فمن هذين النصين يمكن ملاحظة بدقة عدة نقاط مهمة:

---

(1) سورة الكهف: آية 83.

(2) سورة الحجر: آية 9.

(3) سورة الانسان: آية 23.

1. الذكر نزل بصورة عامة.
2. القرآن نزل بصورة خاصة.
3. الذكر تعهد الله بحفظه.
4. القرآن لم يتعهد الله بحفظه.
5. الذكر والقرآن متشاركين بفعل التنزيل من قبل الله.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى مفردتي الذكر والقرآن في اية واحدة بحيث يسهل لمن يتابع النص فهم ان هاتين المفردتين كل واحدة منهما لها دلالة مختلفة عن الأخرى، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (1).

اذن هذا النص يدل على ان ما جاء به محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ هو ﴿ذكر وقرآن﴾ وليس قرآن فقط بمعنى انه ذكر!! فالذكر نزل على كل الرسل بما فيهم محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ليبينوا للناس ما عندهم من نصوص الهية ومحمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لم يختلف عن غيره من الرسل في تطبيق هذا الامر فقد جاءهم بالذكر لتبيان القرآن، قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (2).

---

(1) سورة يس: آية 69.

(2) سورة النحل: آية 40.

العودة الى قصة سجن يوسف

ان قيامي بتكرار المفاهيم في الفصـول السـابقة لكي يتطبع القارئ الكريم على هذه المفردات وتصل الى لبّ تفكيره لكيلا ينسى او يتوهم فيها كونها ذكرت مشـوهة في الموروث الروائي والفهم الشـعبي بل حتى في الدراسات والأبحاث في الشأن الإسلامي الذي يغازل الموروث على حساب الدرجة العلمية الممنوحة من قبل اللجان المختصة لمناقشة هذه الأبحاث المحسـوبة على العلم والمعرفة وهي لا تحاكي العلم في شـيء الا في كونها تتبع هيكلية بحث جاهزة ومتفق عليها من قبل المؤسسات الاكاديمية.

وعوداً على بدء في قصة صاحبي السجن والفتى الذي ادّكر من بعد أمة، فمشهد الملك الذي طلب تفسير رؤياه التي تكررت لعدة أيام من بقراتٍ سمان يأكلهن سبعٍ عجاف وسبع سنبلات واخر يابسات بحسب ما ورد في النص على لسـان هذا الملك قد جعل هذا الفتى ﴿يدّكر﴾ من بعد امة ودهر مما جعله ينسى بالكامل قصة نجاته من السجن وتأويل يوسـف ﴿عليه السلام﴾ لرؤياه والعهد الذي قطعه له بأن لا يعبد غير الله وان يذكره عند ربه، فهذا الرب ﴿الملك﴾ في فترة شـباب يوسـف ﴿عليه السلام﴾ قد مات وجاء ابنه ليحكم من بعده، وابن هذا الملك الفتى قد رأى رؤيا وطلب من كهنة المعابد والمعبرين تأويلا لها ولكنهم عجزوا بعد ان اجتهدوا في طلب تأويلها مرة تلو أخرى وكان هذا المشـهد هو اللاعب

الأساسي للإدّكار الذي جعل هذا الفتى ان يأتي لهم بيوسف ﴿عليه السلام﴾ ليقوم بتأويل هذا الحلم.

الغوص في أعماق قصة يوسف

ولكي نفهم القصة بأكملها على وجه الدقة يجب علينا استعراض النص المتصدي لها بالكامل، قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ

وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ(43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45)يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

أن تدبر هذه القصة بأكملها قد يجعلنا نقع على معنى فعل الادّكار بصورة واقعية يمكن معها القيام به على أحسن وجه في تدبرنا للقرآن جعلنا الله واياكم من المدّكرين في البحث عن المعاني التطبيقية لفعلي ﴿الادّكار﴾ و ﴿العمل بالذكر﴾ لتبيان آيات القرآن الكريم بعد علمنا ان هذين الفعلين يتسنى لأي شخص ذو علم وبصيرة وتوفيق من الله ان يستخدمهما ويعمل بهما، ولكي نبسط الامر على الاخوة المتابعين قررنا الخوض في الآيات التي وردت فيها هذه المصطلحات وهي أولاً: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [2]، ثانياً: قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [3].

---

(1) سورة يوسف: آية (36-46).

(2) سورة يوسف: آية 45.

(3) سورة الكهف: آية 70.

ولما كان تصنيفنا السابق مشتمل على قصص عميقة جداً وفيها من الابهام والموروث الشعبي الذي تأصل لدى الافراد مبتعدين عن مراد الله منها وخصوصاً بعد ان ترجمت أحسن القصص في القرآن الكريم الى مسلسلات درامية وقصص حب وعشق مدسوسة بطائفية ومذهبية لإثبات اُحجيات فلسفية وخصوصا ونحن اذ نكتب هذه الكلمات على مضض وبتأني بسبب هذه الحال التي نراها في الموروث البالي الذي دمر خير امة أخرجت للناس، فحينما عزمنا على كتابة هذا المبحث كان شهر رمضان المبارك في اوله والفصل كان نهاية الصيف، وتأخرنا في كتابة فصول هذا المبحث هو انتظار منا لاستلام ردود الأحبة عليه وانفعالاتهم، ولكننا لم ننتبه ان الوقت يمر بسرعة وهجم علينا البرد والغيث بين عشية وضحاها، مما ألهمنا ان نبدأ بالنبش بعمق في هذه الأقسام وخصوصاً ان ليالي الشتاء الباردة طويلة ولابد لهذه الليالي من أنس وتدبر عميق إن قام المتابع الكريم لما نفتري بنبذ الموروث تباعاً.

وعوداً على بدء، ولكي نبدأ البحث والتقصي عن ماهية الادكار في تدبر هو اقرب للواقع من الموروث الكلاسيكي الشعبي عن تأويل قصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ بأكملها بحيث وجدنا ان المنهج الروائي قد اسقط كل ما لديه من طاقة لمحاولة جلب المعاني بما يوافق اذهان عامة الناس من اساطير وحكايات قصور وملوك وحكام وسهر وطرب وجبروت وظلم، متناسياً ان الهدف من التأويل هو إيصال المراد من كلام الله الى العالمين من اجل الوقوع على علل التشريع لان القرآن في الأول والأخر

ليس كتاب حكاوي وأنس بل كتاب تشريع، وكل علل التشريع موجودة في قصصه، وقصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ هي احسن القصص في هذا القرآن الكريم، ولنسأل سؤالاً افتراضياً، من هو الذي أدّكر في محضر الملك حينما طلب تأويل رؤياه؟!

ان الإجابة على هذا السؤال على بساطتها لدى ذهن المتلقي الذي بمجرد ان يسمعه قد يقول ارجع للنصوص السابقة ستجد ان هذا الفتى الذي ادكر هو نفسه صاحب يوسف ﴿عليه السلام﴾ في السجن الذي قام بتأويل رؤياه!! اليس كذلك؟!! سنقوم بطرح سؤال ثاني؟!! لماذا دخل السجن مع يوسف ﴿عليه السلام﴾ بالأخص فتيان اثنان دون غيرهما من باقي السجناء بحيث ان كل قصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ في السجن بحسب نصوص القرآن تتمحور حول هذان الفتيان؟!

طبعاً انا اطلب من المتلقي ان يرمي ما رآه من قصص في مسلسل النبي يوسف ﴿عليه السلام﴾ من انتاج إيران لأنني أحاول تدبر القرآن بصورة أقرب للواقع لا بصورة درامية تحاكي مشاعر وطبائع الناس وتدغدغ اراء العلماء الاجلاء من مفسرين ورواة حديث، فان اردت التدبر بعمق عليك ان تمشي معي خطوة بخطوة ولننبش التاريخ بصورة مفصلة من خلال فهم كل كلمة وردت في النص، وسيكون عليك قطع مشوار طويل معي لكي ترى وتسمع وتبصر ما أراده الله في هذه النصوص حقاً لا باطلاً وبهتاناً.

ولنطرح سؤالاً آخر: من هما هذان الفتيان أصلاً؟!

اكيد ورد في اذهان بعضكم أيضاً انهما معرفان بحسب نصوص القرآن والتفاسير والأحاديث التي تحاكي موروث الناس الشعبي كما عبر الله في كتابه بايات استدل بها السلف عن شخصيات هؤلاء بقولهم: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (1).

فجاء تأويل يوسف ﴿عليه السلام﴾ لهذه الرؤيا أيضاً تعريفا لمقامهما ووظيفتهما وتبيانا لشخصيتيهما، اليس كذلك؟!!

قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (2).

ولكننا نرجع لنسأل سؤالاً آخر حول هذا النص، من هو رب الفتى الذي يسقيه خمراً؟!! وهل ﴿عصر الخمر في المنام والرؤيا﴾ تأويله ان ﴿يسقي الرائي ربه خمراً﴾ معصوراً بيده؟!!

انا أتخيل الان الحيرة في وجه القارئ الكريم حول الكاتب لا حول النصوص فهي واضحة عندكم أيها الاعزة اليس كذلك؟!!

---

(1) سورة يوسف: آية 36.

(2) سورة يوسف: آية 41.

قصة سهلة وبسيطة فلماذا تقوم بتعقيدها يا أسامة البدران، فتيان دخلا مع يوسف وطلبا منه ان يقوم بتأويل حلم لهما فقام بتخريج الحلم لهما بتصرف فقط غير مفردة ﴿اعصر﴾ الى ﴿يسقي﴾!! وأضاف لها كلمه ﴿ربه﴾!! سهلة، ليس في تدبرها فقط بل حتى في العمل بها كما قام يوسف، واي معبر للرؤيا الان يستطيع ان يقوم بالتأويل بحسب هذه القصة!! ولكيلا أسهب في الكلام سأدخل في صميم الموضوع:

ان الوقوع على معنى ﴿الادّكار﴾ والذي هو غايتنا من تدبر هذه القصة موجود في لب هذه الآيات ويجب علينا ان نعرف من هو هذا الفتى أولاً قبل ان نفهم كيف ادّكر في مجلس الملك، وماهي علاقته بيوسف ﴿عليه السلام﴾ وما هي دلالة الأفعال والحوارات التي دارت معه ومع يوسف ﴿عليه السلام﴾ ولماذا دخل السجن مع يوسف ﴿عليه السلام﴾ أصلا؟!! وبأي جريمة؟!! ولكي نعرف جريمة هذا الفتى يجب ان نخوض في قضية جريمة يوسف ﴿عليه السلام﴾ التي سجن على أثرها، وهذا الذي تقدم ذكره لكم هو تمهيد للدخول في المبحث بتركيز، اذن نبدأ القصة من بدايتها من خلال تدبر النص بأكمله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي

بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (1).

سؤال نحاول الإجابة عليه: من هي هذه المرأة التي كان يوسف ﴿عليه السلام﴾ ﴿في بيتها﴾ وليس في بيت ﴿زوجها﴾ كما يقول المفسرون، وكم كان عمر يوسف ﴿عليه السلام﴾ في هذه الحادثة؟!!

سنحاول الإجابة من عند نفسنا عن هذه الأسئلة عسى ربي ان يلهمني علما من لدنه ويجتبيني ويعلمني من تأويل الأحاديث، ان ربي كان غفوراً رحيماً.

جواب من عند نفسي: كان عمر يوسف ﴿عليه السلام﴾ أربعين سنة!! وكانت هذه المرأة هي ابنة الملك الذي كان يحكم مصر في زمن هذه الحادثة التي يسردها الينا نص القرآن الكريم!!

ربما قد تكون هذه الإجابة غير مستساغة لدى المتابع الكريم لما نحاول طرحه واثباته هنا ولكننا نطلب منكم التأني والصبر علينا فقط، لان الدليل لا يفي مجرد طرحه انما يجب التدّبر والتفكير بعمق للوصول الى حقيقة النص ومراده، فنحن ننفض اثقالاً متراكمة صدئت بمرور الزمن على الوعي الجمعي للامة وبتسهيل ومساعدة على تأصيل هذا الموروث من المفسرين والعلماء الاجلاء ادام الله بركاتهم على الامة الإسلامية!!

(1) سورة يوسف: آية (22-23).

أولاً: قولنا ان يوسف ﴿عليه السلام﴾ بعمر الأربعين بقرينة قوله تعالى ﴿بلغ أشده﴾ قبل النص الذي يذكر حادثة المراودة مباشرة كما عرضناه قبل قليل.

ثانياً: نحن نعتقد ان الدليل على مقدار العمر ﴿أربعين سنة﴾ هو:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (1).

لاحظ عزيزي القارئ قوله بلغ أشده اردفها مباشرة بقوله أربعين سنة، فبلوغ الأشد يعني بلوغ عمر أربعين سنة وهنا أيضا نستطيع الاستنتاج ان عمر سليمان ﴿عليه السلام﴾ حينما وصل الى وادي النمل في عملية مطاردة الفارين من معركة داود وجالوت وتطهير الأرض منهم كان أيضا أربعين سنة.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

(1) سورة الاحقاف: آية 15.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (1).

فتبسم سليمان ﴿عليه السلام﴾ جاء بعده دعاء معين قد ورد ذكره في النص السابق وهو نفس دعاء بلوغ الأربعين!! وعلى كل انسان ان يدعو بهذا الدعاء بالذات حينما يبلغ الأربعين سنة من عمره وهذا من اسرار الأربعين كرقم وكعمر، فالأربعين تكامل ووعي جديد وقرن من الزمان يمر على الاعداد الذهني لدى المرء ليبدأ مرحلة جديدة تتفتح فيها غريفات في القلب والعقل لم يكن للإنسان أي سبيل لولوج اليها الا من بعد قضاء أربعين سنة من مسير في هذه الدنيا الامتحان الذي ابتلى الله به عباده من الجن والانس الخلق العاقل المكلف.

التعرف على شخصيات حادثة الباب والمراودة

يستطيع أي من متابعي هذا المبحث الذي اعكف على كتابته منذ مدة ليست بالهينة ان شاء ان يراجع كتب التفسير والرواية والحديث حول قصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ لكي تكون لديه سعة اطلاع كافية ولكي يعرف جيدا لماذا ننأى بأنفسنا عن التطرق للروايات والحديث في تدبرنا للقرآن.

(1) سورة النمل: آية (18–19).

فيا احبتي القراء الأعزاء حينما تجدون تفسيرا منطقيا في تلك الكتب حول كيفية ﴿عصر الخمر﴾ وقتها سأضع يدي بيدكم وأترك امري هذا في التدبر، ان الخمر هو سائل وهذا السائل يصنف بكونه من ﴿العصائر﴾ بذاته فكيف اتفق اهل الدراية والرواية على تفسير وتأويل قوله تعالى عن صاحب يوسف في السجن لرؤياه بقوله ﴿ أنى اراني اعصر خمرا ﴾ انه كان يعصر عنباً؟!!!

كيف تحولت مفردة الخمر الى عنب؟!!

وهل يعصر العنب ام الخمر؟!!

العصر للعنب والخمر سائل وعصير ناتج عن عصر العنب لا عن عصر الخمر؟!! ولهذا فأن هؤلاء العلماء كانوا يضعون الحديث وينسبونه لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ او للرواة والمحدثين ﴿رضي الله عنهم﴾، بميزان عقولهم الضحلة التي تعبر عن عدم احترام لأرث النبي الاكرم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ والقران الكريم وعقول من سيقرأ هذه الشطحات المفترات على السيرة النبوية الشريفة على مر الأزمنة والعصور ولهذا فأنني دائما ما أقول واردد لكم ان كل صاحب رأي فرأيه ملزم لنفسه، لأنه نتيجة انفعالات لزمنه الذي عاش به ومجتمعه الذي عاش فيه وكل صاحب وعي يحاسبه الله وفق هذه المفاهيم، ومن أراد ان يلتزم بالموروث فهو شأنه وانصحه ان يترك قراءة ما اكتبه هنا منذ الان ومن هذا السطر، لأنني لست مسؤولاً إن أصابته شبهة في عقيدته او حصل لديه تلكؤ في عبادته، او أصيب برد فعل حول ما نكتب ليتحول من ديني الى لا ديني.

امرأة العزيز وسيدها والشاهد

وعوداً على ما بدأنا تدبره من قصة يوسف (عليه السلام) طرحنا سؤالاً حول شخصيات الحوادث المرتبطة بالذي ادّكر في محضر الملك لكي نفهم الادّكار وهذا ما قادنا للرجوع الى بداية القصة حينما راودت يوسف الامرأة التي هو في بيتها عن نفسه.

قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (1).

سؤال: من هي هذه المرأة التي كان يوسف (عليه السلام) في بيتها؟!!

لكي نضع جوابنا المفترى من عند أنفسنا يجب ان نفهم هذه الجزئية أولا!! لماذا ذكر الله ان يوسف (عليه السلام) في بيتها هي وليس في بيت سيده هو او في بيت سيدها؟!!

ان هذا السؤال يقودنا الى ان نشخص الطابع العام للقصة لكي تكتمل الصورة في اذهاننا واذهان المتلقي على حد سواء!!

فمن هو اللاعب الرئيسي في هذه القصة بعيدا عن الموروث الذي لا يستطيع تمييز ان الخمر كسائل لا يمكن عصره لأنه في الأصل سائل؟!! في مملكة مصر القرآنية يوجد لدينا ﴿ملك

---

(1) سورة يوسف: آية 23.

يحكمها﴾ ولهذا الملك أولاد من بنين وبنات وحفدة، ولديه ما يسمى ﴿بوصي على العرش﴾ من أولاده.

ولديه نائب عنه يسمى ﴿العزيز﴾.

هذا يعتبر الطابع العام لشخصيات ذكرها القرآن لمملكة مصر، وقد يعتقد الاخوة اننا نرمي بالكلام دون دليل من القرآن وما نكتبه عبارة عن تخيلات من اذهاننا وبنيات افكارنا، فمن قال مثلا ان هذه القصة حصلت في مصر؟!!

أقول: ان ذكرنا المتكرر لمملكة مصر لانقصد به ﴿جمهورية مصر﴾ الحالية بحدودها الإدارية والتي هي نتاج لاتفاقية سايكس بيكو وما بعدها من معاهدات في القرن التاسع عشر والعشرين ، كما ان ذكرنا لمصر هو ما ذكره الله جل وعلا في وصفه لقصة يوسف ﴿عليه السلام﴾ وتحديد الجغرافيا الخاصة بها ، قال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عسى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ على أَمْرِهِ ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (1).

(1) سورة يوسف: آية 21.

سؤال: كيف يمكننا تحديد صلة القرابة ما بين الملك وبين المرأة التي راودت يوسف ﴿عليه السلام﴾ عن نفسه وكان في بيتها؟!!

الجواب نعتقد انه موجود في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

صلة قرابة امرأة العزيز بالملك

ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان يكون سيدها هو بعلها بحسب تعبير القرآن الكريم كما اننا يمكن ان نلاحظ ان يوسف ﴿عليه السلام﴾ والامرأة هما من الفيا هذا الرجل لدى الباب لا ان الرجل هو من الفاهما او كان يود ان يفتح الباب عليهما كما يصوره الموروث، وان كان هذا الرجل هو بعلها كما يفترى أي انه ﴿العزيز﴾ نفسه فلماذا لم يكن العزيز سيداً ليوسف ﴿عليه السلام﴾ أيضاً يا ترى؟!! الم يكن هو من اشترى يوسف؟!!

ربما اشتبكت المفاهيم لدى البعض منكم ولكنني سأفصل الموضوع بدقة أكثر:

قوله تعالى: ﴿الفيا سيدها﴾ ولم يقل ﴿الفت سيدها﴾ او ﴿الفيا سيدهما﴾ هو تعبير يدل على ان الذي كان وراء الباب لم يكن ﴿زوجها﴾ ولم يكن ﴿العزيز﴾ ولم يكن ﴿سيداً ليوسف﴾ ولم يكن ﴿هو من

(1) سورة يوسف: آية 25.

الفاهما﴾ لدى الباب أي انه لم يكن يهم بالدخول الى هذا البيت العائد ملكيته لهذه الامرأة!!

العزيز لم يكن موجودا في حادثة الباب

هل توضحت لديكم المفاهيم الان؟!! كم كتاباً نبذت من مكتبتك عزيزي القارئ الكريم من كتب الرواية والدراية والتفسير لحظة قراءتك لهذا التفصيل في تدّبر أقرب للواقع لآيات الله في كتابه امام كمٍ هائل من الموروث الذي أثقل كواهلنا وجعلنا نتيه تيه بني إسرائيل في اول 40 عاماً من اعمارنا التي لن تتكرر بهذه السحنة مرة أخرى، تخيل أنك تعطى فرصة لمرة واحدة لتقرر فيها هل تريد ان تحيا ام تقضي عمرك في سبات عميق، انا عن نفسي ذاهب الى ربي ليهديني، فهل أنتم ذاهبون؟!!

اذن السيد الذي الفياه لدى الباب لم يكن العزيز ﴿عزيز مصر﴾ سيد يوسف ﴿عليه السلام﴾ وربه الذي اشتراه وأكرم مثواه؟!! فمن هو يا ترى وما هي علاقته ببحثنا عن الفتى صاحب يوسف ﴿عليه السلام﴾ في السجن؟!!

لنرجع الى النص مرة أخرى: قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

(1) سورة يوسف: آية 25.

ان قول هذه المرأة في هذا النص ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا﴾ يضع امامنا احتمالاً واحداً لا ثاني له هو ان هذا الشاهد إذاً لم يكن الملك بنفسه لان القرآن لم يصرح عنه انه الملك بل سيدها لوحدها فقط وهذا ما يجعلنا نستبعد ﴿عزيز مصر﴾ أيضاً، وبما اننا اوضحنا ان للملك بنين وبنات وحفدة يسكنون معه في القصر وبما ان هذا البيت الذي حصلت فيه المراودة المشهورة، اذن نستنتج بصورة مؤقته حالياً ان هذا الرجل ﴿سيدها﴾ هو اخاها ﴿الوصي على عرش الملك﴾، ونحن اذ نضع افتراءات بهذه الخطورة من عند أنفسنا نطلب من القارئ الكريم ان لا يأخذ بهذا الرأي على انه نتيجة قطعية عن فحوى النص، فنحن نحاول ان نتدبر القرآن بما اوتينا من مدارك عقلية وفقنا بها الله جل وعلا ونضع طرحاً على ركاكته امام ما يقوم به جمهور العلماء الاجلاء من مفسرين ورواة من جهدٍ ولكننا نلمح بين الحين والأخر ان هذا الرأي هو أقرب للواقع فقط، اذن سيدها الذي الفياه هي ويوسف ﴿عليه السلام﴾ عند الباب هو اخوها الذي كان يمر من امام باب بيتها فقط عن طريق الصدفة وهذا الأخ هو واحد من عدة اخوة واخوات اخرين وكوننا وضعنا استنتاج انه الأخ ﴿الوصي على العرش﴾ فنحن مطالبين بوضع الدليل على القول أيضا، فمن قال انه هو الوصي دوناً عن الباقين؟!! وكيف

ثبت لدينا ان هذه الامرأة هي ابنة الملك ومن هو الشـاهد الاخر من ﴿أهل﴾ هذه الامرأة الذي ورد ذكره في النص القرآني وما علاقة قوله تعالى: ﴿وشـهد شـاهد من أهلها﴾ بمفردة ﴿شَـهِدَ﴾ التي وردت في بداية هذا المبحث والتي تخص شهادة الشهر للصيام في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [1]؟!

وشهد شاهد من اهلها

تعرضـنا في الفصـول الاولى من هذا المبحث لمفردة ﴿شَهِدَ﴾ التي وردت مع تشـريع الصـيام في قوله تعالى: ﴿فمن شـهد منكم الشـهر فليصمه﴾ وكنا قد توصلنا الى ان من شَهِدَ الشهر كان الشهر قد انفلت منه، وبالتالي فنحن نضع استفهاماً مشروعاً حول قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [2]، ليستعرض لنا النص كيف ان هذا الشاهد يقوم بعرض حلول للمشكلة لا يقوم بسرد وقائع ما رآه حقا بعينه، فلماذا لم يكن لأصـحـاب الـدرايـة والروايـة رأي في افهـام المجتمع ان مفردة ﴿الشـهود﴾ والتي انبثقت منها تطبيقات اجتماعية ونعوت في كافة المفاصل المجتمعية للواقع العربي مثل ﴿شهود المحاكم، الشهيد في

(1) سورة البقرة: آية 185.

(2) سورة يوسف: آية 26.

الحرب، الخ﴾ لا تعني ان يكون الشاهد حاضراً ليرى بأم عينه وقائع الحادثة التي يطلب شهادته فيها واستعراض معرفته منها!!

وان كان حقا ما توصلنا له من ان من يشهد ﴿شهر الصيام﴾ يعني ان الشهر انفلت منه ولا يستقيم المعنى مع فهمنا لان هذا الشهر يساوي ﴿ثلاثون يوماً﴾ بل ان الشهر يدل على ﴿ليلة الصيام﴾ فقط!! فمن يشهد الليلة ويجن عليه الفجر يكون قد شهد الشهر ويؤذن له بالصيام، فكيف يمكننا التوفيق بين هذا الامر وقوله تعالى:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [1].

ان من يتدبر النص بتركيز يفهم جيدا ان هذا الشاهد لم يكن بحال من الأحوال حاضرا في الواقعة انما كان قد تم استشارته فقط فيها، كما ان الفعل المريب الذي قامت به هذه الامرأة التي كان يوسف ﴿عليه السلام﴾ في بيتها لم يجابه من قبل سيدها الذي الفياه لدى الباب بفعل ﴿عصبي او تعصبي﴾ تجاه اهله، أوليس تلك الامرأة من اهله وقد امسكها بالجرم المشهود؟! وبادرت بالكلام قبل يوسف ﴿عليه السلام﴾ حيث

(1) سورة محمد: آية (26-27).

قالت ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾، هل في العرب او العجم من يكون بهذا الحلم والحنكة بحيث لا يبادر بالضرب والشتم والتعصب لأهله بعد ان يمسكها بوضع مريب، ان هذا المشهد بحاجة الى تدبر بتأني واعتقد ان فيه من الإجابة الشافية للأسئلة التي وضعناها في المبحث السابق.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

رد فعل غريب بخصوص حادثة الباب

ان من يتابع رد الفعل لسيدها في هذا الباب يلاحظ انه يكاد يكون معدوما الا بعد ان شهد شاهد من أهلها!! فالنص الذي بعده مباشرة ينص على قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (2).

والى هذه اللحظة لا نجد أي رد فعل من ﴿سيدها﴾ والذي افترينا انه من أهلها بحسب ما ورد في النص ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ثم يأتي ذكر سيدها في النص الذي بعده بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ

(1) سورة يوسف: آية 25.

(2) سورة يوسف: آية (26–27).

قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (1).

ان سيدها هذا بحسب النص السابق استعرض اراء الشهود ثم عاين الدليل الذي لم يكن قد رآه اول الامر لانهما هما من الفياه لدى الباب فكانا مستقبليه بوجههم ﴿مقبلين عليه﴾ لا ﴿مدبرين عنه﴾ ثم يطلق عليهما حكما غير تنفيذيا انما هو عبارة عن نصيحة تقدم من اخ ناصح حكيم مرشد لا من وزير او حاكم عسكري او ملك يمكن ان يبطش بأي اثنين يمسكهما بجرم كهذا ناهيك عن كون صاحبة الجرم من اهله ولكم ان تتصفحوا كتب التاريخ التي تذكر حوادث مشابهة لما في تخيلات المفسرين لهذا النص الذي قالوا عنه مجتمعين ﴿انه يكره تلاوته﴾ في محضر النساء والاهل أعاذنا الله واياكم من هذه الآراء الشاذة بحق نصوص القرآن الكريم الذي كل نص فيه ممكن ان يهدي من لا نور وبصيرة في حياته كما قال عنه تعالى في نصوصه : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (2).

---

(1) سورة يوسف: آية (28-29).

(2) سورة الاسراء: آية 9.

تفصيل حادثة الباب

ولنفصل النصوص السابقة التي استعرضناها بدقة مرة أخرى:

أولا: يوسف ﴿عليه السلام﴾ والامرأة التي كان في بيتها كانا يستبقان الباب.

ثانيا: يوسف ﴿عليه السلام﴾ والامرأة التي كان في بيتها الفيا سيد هذه الامرأة لدى الباب.

ثالثا: يحصل ان في هذه اللحظة التي كان يوسف ﴿عليه السلام﴾ يحاول الإفلات من هذه الامرأة ان قامت ﴿بِقَدّ﴾ القميص ليوسف من ناحية الظهر أي الجهة التي يخلف فيها الامرأة وراءه.

رابعا: سيد هذه الامرأة لم يكن يروم الدخول الى بيتها بدليل قوله تعالى ﴿الفيا﴾ أي هما من الفياه لدى الباب لا هو من الفاهما، اذن السيد كان يهم بعمل خاص لا علاقة له ببيت هذه الامرأة ولا بابه.

خامسا: في خضم هذا المشهد تحصل المفاجأة يجد يوسف ﴿عليه السلام﴾ امامه السيد وحاشيته ومن كان خارج البيت وخلفه مباشرة السيدة التي كان في بيتها، فتبادر السيدة دفاعاً عن أي اشتباه في المشهد بعد ان قالت وبررت فعلها انها مظلومة ويوسف اعتدى عليها.

سادسا: سيدها لم يقل شيئا ولكن يوسف ﴿عليه السلام﴾ بادره بقوله:

﴿هي راودتني عن نفسي﴾ [1].

(1) سورة يوسف: آية 26.

سؤال مهم في هذه النقطة: هل تبرير يوسف ﴿عليه السلام﴾ ممكن ان يخرجه من هذه الورطة؟!! الا يعلم يوسف ان قوله هذا بمثل هذا المشهد مع هؤلاء الشهود الذين رأوه ومقابل تبرير تلك الامرأة لن ينجيه من الجرم المشهود او الوضع الذي هو فيه؟! لماذا بادر للسيد الذي الفياه لدى الباب بالتبرير الغير مقنع إذا؟!!

سابعا: يظهر من المشهد الذي نحاول ان نتدبر من خلاله هذه النصوص لنستخلص القصة ان هذا السيد بعد استماعه لقول الامرأة التي هي من اهله وتبرير يوسف ﴿عليه السلام﴾ قد أبقي الوضع على ما هو عليه دون أي رد فعل ظاهر في النصوص وهذه المدة ﴿فترة الصمت في النص﴾ هي لعرض المشهد بأكمله على رجل آخر من اهله وأهلها يظهر انه أكثر حنكة وحكمة ودراية بهذه المواضيع، لأنه اما ان يكون قد شهد مثلها سابقاً او له الأعلمية بمثل هذه المواقف بحكم منصبه الذي يتسنمه.

ثامنا: يظهر من النصوص ان الشاهد من اهل هذه الامرأة وسيدها الذي شهد على الواقع لم يكن قد ﴿رأى الواقعة﴾بأم عينه بدليل انه يعرض على سيدها الاحتمالات ومعاينة الدليل الذي يفك الاحجة ويحلها، اذن ﴿انا افتري من عند نفسي ولكم ان لا تأخذوا بهذا الرأي﴾ ان سيدها قام باستشارة قبل الحكم، فسيدها الذي استنتجنا سابقا انه اخاها هو نفسه ﴿الوصي﴾ على العرش وقد استشار ﴿الملك﴾ اباه واباها لأنه أكثر دراية وعلماً منه بهذه الأمور التي تحصل في القصور وعوائل الحكام.

تاسعا: ان طريقة الاستشارة للملك الذي هو ذو دراية وحكمة لم تكشف من خلالها شخصيات الحادثة امامه بدليل ان رد فعله لم يكن أكثر من إعطاء الرأي والمشـورة فقط، وهـذا ان دل فعلى حكمة وحلم ورشـد ﴿ سيدها ﴾ الذي الفياه لدى الباب ﴿الوصي﴾ على العرش وهو أيضا كان فتياً على تسلم منصب اباه الملك ومن ظاهر ردود الأفعال لشخصيات هذا المشهد يبدو ان هناك علاقة طيبة مع الوصي على العرش بيوسف ﴿ عليه السلام ﴾ ولا يمكن ان يشـتبه به ولو للحظة ان يقوم بفعل مشـين كما افتري عليه كذباً من قبل هذه الامرأة ﴿امرأة العزيز ﴾ التي تسـكن في بيتها الكائن في قصر ابيها الملك ﴿ملك مصر﴾ ، والذي قلنا سابقا ان الملك قد خصـص في قصـره بيوتا لا بناءه وبناته ليعيشوا فيه كما هو واضح من خلال المشاهد التي استعرضناها سابقا .

الحكمة من عدم اشهار حادثة الباب

اذن حكمة ﴿هذا السـيد﴾ اقتضـت ان لا يتم اشـهار الحادثة على الصعيد العائلي ناهيك عن الصعيد الشعبي في المدينة، وحينما عاين الأدلة بحسب مشورة ﴿الملك﴾ بقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [1].

(1) سورة يوسف: آية (26-27).

تبين له ان الكيد كان من اهله لا من يوسف ﴿عليه السلام﴾ وكانت ردة فعله هي التكتم على الموضوع وعدم اشهاره من قبل الموجودين الذي اطلعوا على هذه الحادثة وقد استخدم الرفق واللين مع اهله ﴿اخته امرأة العزيز﴾وفتاها ﴿يوسف﴾ الذي تربطه به علاقة طيبة فقال لهما كما جاء في النص : ﴿فَلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (1).

فقد رأى هذا السيد ان القميص كان قد ﴿قُدَّ﴾ من دبر واستنتج ان اخته هي من راودت يوسف ﴿عليه السلام﴾ عن نفسه فوصف قبيح فعلها بالكيد العظيم ونصحها بالاستغفار عن ذنبها وأمر يوسف ان ﴿اعرض عن هذا الامر﴾ ولا تذعه على الملأ كما أمر الموجودين بهذا أيضا.

وان المتابع لهذا المشهد برمته يجد اننا نتحدث عن ﴿وصي على العرش﴾ وهو لايزال فتى ولكنه رشيد وحليم، وان يوسف ﴿عليه السلام﴾ كان أيضا لايزال فتى وهو صدّيق وحكيم أيضاً وبالتالي نستنتج ببساطة ان حاشية هذا الوصي الذين كانوا معه اثناء هذه الحادثة حينما كان خارج البيت ﴿بيت اخته﴾ لأداء بعض الشؤون الخاصة بهم او بأمور الدولة في

(1) سورة يوسف: آية (28-29).

القصر أيضا ماذا؟!! هما من الفتية، فأنا استبعد بأي حال من الأحوال ان يرافق الفتى لكبار السن والعجزة، فسيكون الامر مملاً بالنسبة لمن يعيش في القصور الرئاسية والمناطق الخضراء الملكّية، اليس كذلك؟!!

لماذا بقي يوسف في بيت امرأة العزيز بعد حادثة الباب:

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (1).

توصلنا في مبحثنا الى طرح عدة أسئلة واثارة شبهات حول نصوص القرآن الكريم في سرد أحسن القصص لتبيان علل التشريعات التي شرعها الله لنا، وسنحاول تمهيد الطريق للإجابة عنها بأذنه تعالى، والنص أعلاه يتمخض عنه سؤال مرتبط بالأحداث التي بعده، فأن كان ﴿هذا السيد﴾ قد أيقن من خلال استعراض الأدلة وشهادة الشاهد والذي استنتجنا انه ﴿الملك نفسه والده ووالدها﴾ ان ﴿اخته﴾ امرأة العزيز هي من ارتكبت الجرم بحق يوسف ﴿عليه السلام﴾ وقد تبين له أيضاً ان يوسف ﴿عليه السلام﴾ بريء مما تم الافتراء بالكذب عليه، وخصوصاً ان عملية المراودة هذه تتطلب علاجاً اجتماعياً فورياً لا يتمثل بالعقوبة فقط كونها متعذرة على ﴿سيدها﴾ لأنها ذات شأن كونها امرأة عزيز مصر، فأبسط علاج لهذه القضية ممكن تصوره هو ابعاد يوسف ﴿عليه السلام﴾ عنها او عزلهما عن بعض!! اليس كذلك؟!

(1) سورة يوسف: آية 29.

والسؤال هو: لماذا أبقي سيدها على يوسف (عليه السلام) معها في نفس البيت بعد هذه الحادثة؟!

وما يؤكد بقاء يوسف (عليه السلام) معها في بيتها هو الاحداث التي تلت هذه الحادثة والتي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (1).

ان هذه الاحداث التي تلت حادثة الباب ﴿والفيا سيدها لدى الباب﴾ تدل على أن ما حصل تم التكتم عليه من قبل كل من شهد هذه الحادثة وبأمر من هذا السيد الذي هو من أهلها فالسيد كان رده هادئاً جداً بل لا يعبر عن أي انفعال نعرفه قد يمر بأي رجل في مثل هذا الموقف، فهو موقف غريب جداً، ولا يوجد فيه تعصب او عصبية ﴿كما هي غيرة الرجال على نساءهم واهلهم في مثل هذه المواقف وبالأخص المجتمعات العربية﴾.

(1) سورة يوسف: آية (31-32).

تدبر مفردة اهل

وقد ورد في بعض الردود على المبحث من أحد الاخوة الأعزاء هو ان مفردة ﴿اهل﴾ تستخدم في الحياة الاجتماعية للشعب العراقي مثلا وتطلق على ﴿زوجة الرجل﴾ فحينما يذكر الرجل زوجته في حديث يقول ﴿اهلي﴾ ولهذا فأن القول ان الرجل الذي الفياه لدى الباب هو اخ لهذه الامرأة هو قول بعيد عن الواقع الشعبي للمصطلحات الدارجة وخصوصاً لدى العراقيين، فأقول اننا من باب نحاول تدبر القرآن الكريم من خلال عرض نصوصه على بعضها البعض لا على الموروث الشعبي ولا على الروايات والاحاديث والمعاجم فمفردة الاهل هي كلمة شاملة للزوج والاخ والاخت والأب والام من خلال استعراض نصوص القرآن الكريم وخير مثال يمكن ان نستدل به هو قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي﴾ [1]، فقول موسى ﴿عليه السلام﴾ لله ان يجعل له وزيراً ﴿من اهله﴾ واتبعها بتعريف هذا الوزير بقوله: ﴿هارون اخي﴾ دال على ان مفردة الاهل تشمل ﴿الأخ﴾ كمعرّف، وقول ﴿أمرأه العزيز﴾ لـ ﴿سيدها﴾ الذي الفياه هي ويوسف ﴿عليه السلام﴾ لدى الباب ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا﴾ يدل على ان هذا الرجل هو ﴿سيدها﴾ فقط وليس سيداً ليوسف ﴿عليه السلام﴾ بقرينة قوله تعالى ﴿والفيا سيدها﴾ ويدل على ان هذا الرجل هو ﴿من أهلها﴾ بقرينة قوله

(1) سورة طه: آية (29-30).

تعالى ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا﴾ ويدل على انه اخوها وليس زوجها بدليل انه ليس سيداً ليوسف ﴿عليه السلام﴾ والعزيز هو من اشترى يوسف فهو سيده والنص واضح بقوله﴿والفيا سيدها لدى الباب﴾ أي هو سيدها فقط وانهما هي ويوسف من الفياه وليس هي من الفته لوحدها ولكن بتسلسل زمني ان يوسف ﴿عليه السلام﴾ هو الرجل وقيامه بفعل الاستباق نحو الباب مخلفا الامرأة خلفه جعله يكون هو من وصل أولاً للباب وكون الباب مغلقا من الداخل فهذا جعلها تتأكد من انه حتى لو سبقها فسيتوقف لفتح الباب مما يجعلها تكون متأكدة من اللحاق به وهذا التأخير جعلها تقوم بفعل ﴿ قُدَّ القميص من دُبُرٍ﴾ وحصلت اللحظة التي رأى فيها سيدها الحادثة، كما ان فعل القد والاستباق هو من جعل الشك يدخل في قلب من رأى هذه الحادثة ، فالامرأة كانت في بيتها ويوسف هو فتاها ولا ريبة في الامر اطلاقا ولكن خروج يوسف بسرعة وقَدّ الامرأة لقميصه من ﴿دُبُر﴾ وبهذا التفصيل والوصف للحادثة من قبل الله سبحانه وتعالى مع دقة استخدام المفردات جعلنا نتصور هذا الموقف كما هو لا كما ورد في الروايات والأحاديث التي شوهت النص وشوهت القصة على حد سواء.

التكتم على حادثة الباب وعواقب افشاؤها

ان النصوص التي استعرضناها في محاولة منا لتدبرها وجدنا ان الامرأة المذنبة بحق يوسف ﴿عليه السلام﴾ هي من بادرت سيدها بالكلام ثم عقّب

يوسف ﴿عليه السلام﴾ على اتهامها له بقوله ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ولم يحدث ان قال سيدها شيئا بل اكتفى بعرض القضية على الشاهد ﴿الملك﴾ ثم جاء ليستعرض الدليل ﴿ان كان قميصه قد من قُبل.. الخ﴾ فلما وجده قد ﴿قُدَّ﴾ من دبر هنا بادر بقوله الهادئ البسيط ﴿انه من كيدكن ان كيدكن عظيم﴾!! ثم عرض عليهم الحال الذي سيكون عليه بقوله:

1. يوسف اعرض عن هذا.
2. واستغفري لذنبك.

انتهى قول سيدها هذا والذي لا يعبر رد فعله عن أي عصبية او تعصب ﴿كما يحصل من أمور غيرة الرجل على اهله﴾ وهذا ان دلَّ فعلى عدم سلطة هذا الرجل حالياً لا عليها ولا على مجريات الأمور في هذا القصر الذي يقع فيه بيت امرأة العزيز، ويقودنا هذا الاستنتاج الى ان الموضوع بقي طيَّ الكتمان أيضاً، وهذا تم بالأمر الى يوسف ﴿عليه السلام﴾ أولاً بقوله له (يوسف اعرض عن هذا﴾ وكون هذا الرجل هو (سيداً للمرأة﴾ وليس ﴿سيداً ليوسف﴾، فكان امره له عبارة عن طلب واستعطاف ﴿ان اعرض عن هذا﴾ فقط، كما لم يتم اعلام زوج هذه الامرأة ﴿عزيز مصر﴾ به ولا ﴿ملك مصر﴾ ايضاً، الذي افترينا سابقاً انه هو الشاهد الذي شهد على القضية بإعطائه المشورة دون علمه

بتفاصيلها وشخصياتها، وهو أيضاً والد هذه الامرأة ولم ينبز أحد ببنت شفة عن الموضوع برمته ، كما ان لهذا الفعل نتائجه الوخيمة في المجتمع، وفعلاً أدى هذا الكتمان الى ان تتمادى هذه الامرأة بقبيح فعلها بأن حاولت تكرار هذا الفعل ﴿فعل المراودة﴾ عدة مرات كما في النصوص الأخرى، فأصبحت أمرأه جامحة بعد ان ﴿أمنت العقاب﴾ وتيقنها من أن يوسف ﴿عليه السلام﴾ لن يذكر الأمر على الملأ بأمر من سيدها بل دعت نساء اخريات للقيام بنفس فعلها وان ابى يوسف عليهن ان ﴿يصبو اليهن﴾ ليسجُننَّ .. او ليكونا من الصاغرين!!

سؤال: من هما الفتيان اللذان دخلا مع يوسف ﴿عليه السلام﴾ للسجن وما علاقتهما به؟!

جواب مؤقت: هذان الفتيان هما من حاشية ﴿سيد هذه الامرأة﴾ أي من المرافقين له اثناء وقوع الحادثة وهم مأمورين أيضا بكتمان ما حصل.

أن هذا الافتراض الذي وضعناه بصورة مؤقته تبلور نتيجة سؤال مهم ورد في النصوص التي جاءت بعد هذه الحادثة مباشرة بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (1).

(1) سورة يوسف: آية 30.

فاذا كان يوسف ﴿عليه السلام﴾ مأموراً بعدم الإفصاح عن المشكلة على الملأ والامرأة لا يمكن ان تفضح نفسها فمن أين علم هؤلاء النسوة اللاتي في المدينة أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه؟!!

جواب مؤقت: من خلال حاشية ﴿سيدها﴾ الفتيان اللذان كانا يرافقانه اثناء وقوع الحادثة وقيامه باستعراض الأدلة، ومن يقول هذا؟! ربما يعترض أحد القراء على ما نقول!! فيعتقد انني استعرض الأدلة بحسب ما تشتهي نفسي واسردها بحسب مخيلتي دون وجود دليل، فأقول: صبرٌ جميل والله المستعان، فالأدلة ترد تباعاً وما نحاول ايصاله للقارئ الكريم ليس الحقيقة القطعية انما هو ظن مفترى وتدّبر أقرب للواقع لنصوص القرآن الكريم لا نقول انه الحق ولكن قد تكون بعض الحقيقة ليس كلها فيما بين جنباته.

اذن، الفتيان اللذان كانا يرافقان ﴿سيد هذه الامرأة﴾ امرأة العزيز هما من اذاعا الخبر وهذا ما تسبب مع دخولهما مع يوسف في السجن كما ورد في النص بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (35) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (1).

(1) سورة يوسف: آية (35-36).

الفصل الخامس

أحسن القصص

سنحاول في هذا الفصل الخوض في قصة النسوة اللاتي قلنَّ ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾، فان قصة هذه النسوة حينما نرجع الى التفاسير تكاد تكون اشبه بقصص ألف ليلة وليلة او كليلة ودمنة، فالمفسرين يصورونها كقصة خيانة من قبل امرأة لعوب مع فتاها الجميل واعداد لحفلة اصطياد لهذا الفتى العصي على سيدته من قبل نساء رجال الدولة! ولكن هذا الفتى العفيف ظل عصياً متمنعاً عن تلك النسوة، مما أدى به الى ان يقبع في السجن تحت رحمة جلاد السيدة لتقضي عمرها تنظر اليه من مشكاة السجن الانفرادي وهو عاري الظهر وقد ادمته سياط السجان تحت ضوء باهت هرب من القمر ليلة البدر، ومن يشاء فليراجع التفاسير والتي كان بعض اربابها قد قال بكراهية قراءة سورة يوسف امام العائلة [1] لما فيها من لقطات ﴿رومانسية﴾ بحسب فهمهم لمشاهد احسن القصص التي وصفها الله هكذا في كتابه الكريم مصدر التشريع الأول ولهذا كانت شرائع الدين الإسلامي

(1) الكافي: الشيخ الكليني، ج5/ص516.

وقوانينه التي استنبطها لنا جحاجيح المسلمين اغلبها مقتبسة من اساطير الاقوام التي سبقت الإسلام ولكن ﴿بتصرف﴾ وبهذا هجر الناس قرآنهم بمعية من يقودون عامتهم من فقهاء ومفسرين بحجة عدم القدرة على تدبر النص القرآني الذي نزل بلسان عربي مبين!! بل ان بعضهم قد اثقل كاهل الامة بنقله لأحاديث تحرم وتكفر من ينوي او يحاول التدبر بعقله القاصر كما يعبرون عنه ويرجعون تدبر القرآن للنبي والرعيل الأول من الصحابة او اهل البيت كما يسمونهم ﴿المعصومين او العترة الطاهرة من أولاد فاطمة وعلي﴾ وبانقطاع الاتصال السببي بهم انقطعت عنا تفاسير النص الكريم وتشتت الآراء والتفاسير بل ظهر لنا مدعين كذابين كثر يدعون الاتصال والتواصل مع الحجة المهدي وانه قد فسر لهم نصا او قرآنا او اية او حادثة بل ان بعضهم يرى الائمة المعصومين يطوفون عليه في المنام كل ليلة ليخرج لنا بقوانين ودساتير قرآنية ما انزل الله بها من سلطان وليت شعري هل منهم رجل رشيد، وربما غفل هؤلاء ان نفس المنهج الذي يتبعوه في التفسير يخرجهم عن الملة ويكفرهم بسبب وضع آرائهم في كتبهم فلا يوجد لدينا كتاب تفسير للقرآن شامل ووافي ويعطيك كل الأجوبة التي تدور في رأس ﴿من هم مثلي﴾ يوميا على الأقل، بل ان اغلب التفاسير

للقرآن الكريم تسمى بأسماء مؤلفيها وليس باسم الصحابي او الامام المعصوم الذي نقل التفسير عن النبي، بل لا يوجد أي تفسير عن النبي ينسب اليه بالمباشرة حتى من اقرب الناس له فاطمة وعلي والحسن والحسين وزوجاته صلوات الله عليهم، ومن نتائج هذه المناهج المتخبطة والاخبارية الموروثة والتي أصيب اغلب معتنقيها برد فعل سلبي ضد الإسلام والدين والقرآن هو:

أولاً: بداية القول بان من كتب القرآن غير معصوم عن الخطأ وبهذا لا يمكن ان يعقل ان القرآن لا يحتوي على أخطاء.

ثانياً: ان القرآن بحسب زعمهم لم يكتب بهذه الصيغة التي لدينا الان أي انه كتب بلا نقاط وبلا حركات وبالتالي فقراءتنا الحالية له هي اصطلاحية ومستحدثة ولا تمثل القراءة الاصلية التي قرأها النبي محمد على مجتمعه.

ثالثاً: أن هناك نصوص كثيرة من القرآن لم تصلنا واخفيت على مر العصور والدهور.

رابعاً: القول بتعدد القراءات دليل عندهم على تحريف القرآن ومن المعروف ان للنص القرآني ثلاثة عشر قراءة مشهورة وغير مشهورة

وأشـــهرها بروايـة حفص عن ابن كثير المكي عن علي ابن ابي طـالـب وهي الدارجة في التسجيلات للقراء المشهورين في العصر الحالي.

سلبيات الايمان بالمنظومة الاخبارية

ان من يؤمن بهذه المنظومة الإخبارية لقصـة القرآن الكريم وطريقة تدوينه ونقله عبر العصور والازمة يلاحظ فيها ما يلـي:

أ- ان القرآن انبثق من نقطة زمنية معينة في عصر جاهلي لم يكن فيه أي تدوين مدني ومنظم بحيث ان من يقرأ النصوص المكتوبة في أي رقعة يعتمد على تصوره للكلمة لا على طريقة كتابتها فهم يقرأون الكلمات بطريقة رسم الاحرف التي تطورت من الآرامية وهي تحاكي الكتابة الصورية، ولست أرى أي وجه مقبولية في القول ان هذا النسق يسمى ﴿تطوراً﴾ بل هو تسافل حقيقي لأحرف لغوية لا تعبر عن أي مـدنيـة او حضـــارة في أي زمن من الأزمنـة ولهـذا اخفيـت جميع النصوص والرقيمات التي تعبر عن القرن السابع الميلادي وعهد صدر الإسلام ولكنك تجد وبكثرة لا نظير لها رقيمات وتدوينات ما قبل هذا العهد وبطريقة كتابية مدنية راقية جدا ومنظمة فما الذي حصـــل خلال هذه المائتين او الثلاث مئة ســنة بحيث انحدرت الاحرف لهذه الدرجة ثم ارتقت مرة أخرى في العهد العباسي الأول ؟!!

2-ان القران الكريم يخالف ما يعتقد به هؤلاء لما جاء في نصـــه وآياته وكما يحدث القرآن نفســه عن نفســه او كما وصــفه الله لنا، فالقرآن الكريم قران مجيد في لوح محفوظ وهو جزء من كتاب وفيه بينات من الهدى والفرقان ﴿أي نصـوص من كتاب موسى﴾ ولا أرى أي وجه مقبولية في كون النص القرآني حاوي لنص من كتاب موســى ولكنه مكتوب بأحرف لا يمكن قراءتها انما تصــور شــكلها فقط بحســب الذاكرة الموروثة مثل قولنا ﴿ححاح﴾ بقصـد الإشـارة لأسـم ﴿حجاج﴾ فأنت تتصـور الرسـم الأول للأحرف على انه إشـارة للحجاج ولكن هذا الموضـــوع ملزم لمن يؤمن بمنظومـة عـدم وجود تنقيط وحركـات وتنظيم كتابي مدني وهذا لا ينطبق على العهد الموســوي الملكي الفرعوني الذي وصل الى أوج الحضـارة المدنية بحيث ان بنو إسرائيل انفســهم وصــلوا الى مرحلـة التكليم من قبـل الله والوحي لهم والتفضــيل على العالمين بل ان الله انزل عليهم المن والسـلوى وان فرعون كان قد وصــل به الحد من العمران الى بناء الصــروح والجنان لشعبه وقومه وهذا كله واضح في الأثر ولا يخفى على أي احد بل ان الاثار والكتابات التي أتكلم عن تنظيمها ورقيها وكتابتها بالذهب منتشرة في متاحف اوربّا وتركيا ومصر وامريكا .

3- ان قصة يوسف بالذات تصور لنا على قدمها ان البشرية قد وصلت الى مرحلة مدنية راقية جدا فانت ترى الوصف لحادثة معينة كحادثة النسوة اللاتي قطعن ايديهن، ان هناك سكاكين ومتكأ وسجون وابواب وقصور وعدالة وحكمة ونصوص راقية وطريقة الإعدام بالصلب والعصر للخمر وغيرها من الاوصاف التي لا تنطبق على ما اوصله لنا الاخباريين من مجتمع صدر الإسلام البدوي الصحراوي الرتيب الذي لا يصف الإسلام ونبي الإسلام وقرآنه فقط بل يصف كل العرب بل كل ارض يقبع فيها عربي في تلك الفترة يصوره لنا الاخباريين اما انه بدوي قبلي او انه محكوم من قبل الاكاسرة والقياصرة ولكنهم اغفلوا الاثار المنتشرة ذات الطابع العمراني الراقي والاحرف الكتابية للغات العرب المتعددة والتي تعبر عن ساكني تلك المناطق وكل جزء في البلاد العربية مختلف في لهجته وطريقة كتابته ولفظه للكلمات والمصطلحات عن الجزء الاخر فهذه حضارة اليمن وخطها المسند وتلك ارض الكنانة وخطها الهيروغليفي الصوري وهذه ارض الحضارات العراقية وكتابتها المسمارية وتلك الصين واليابان والهند كل يتميز بخطهم فمثالنا لا ينطبق على ارض وبلاد العرب فقط بل ان هذا القول ينسف لنا خرافتين الأولى طرق التجارة الدولية المطولة والثانية تلاقح تلك الحضارات والهجرات، فلم

نكتشف أي رقيم بخط هندي في ارض مصر الحالية مثلا ولم يكتشف أي رقيم بخط المسند في حضارة الهند مثلا وهكذا، وكنت قد تطرقت لهذا الموضوع بالتفصيل في مقالات وابحاث سابقة.

يوسف والملك الكريم

وعوداً على بدء فأن ما لفت انتباهي في النص القرآني الذي يذكر حادثة النسوة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(1).

ان الوصف القرآني لهذه الجلسة يختلف عما افاض به علينا جحاجيح المفسرين والمؤرخين فمن اين جاءونا ﴿بالأترج﴾ والفواكه التي وزعت على ايادي النسوة يا ترى؟!! هل لمح منكم كلمة في النص السابق ربما فاتتني لضعف بصري هل ذكر النص أي نوع من أنواع الفاكهة يا ترى؟!! هل تعلمون ان بعض المفسرين قاموا بتفسير كلمة ﴿متكأ﴾ على انها ﴿أترج﴾ وفواكه؟! وهل تعلمون يا سادة يا كرام ان

(1) سورة يوسف: آية 31.

اغلب اهل المعاجم والتي من المفروض ان تكون عبارة كتب ﴿فك شفرة تلك اللغة البدائية الجاهلية التي ابتدأنا وصفها هنا﴾ هي كتب قد اتخذ مؤلفوها منهج تبيان معاني المفردات برجوعهم الى تفاسير القرآن على اختلاف مذاهب المفسرين، ولم يأخذوا معاني المفردات للكلمات العربية من خلال ارجاعها الى سكان المنطقة التي ينطقونها بهذه الصيغة!! وان اختلاف الالسن الوراثي للأقوام والأمم التي تسكن في ارض متجاورة مثل العراق الذي يسكنه اقوام مختلفين في اللسان والسحنة والتقاليد وحتى العبادة من ﴿سومريين واكديين واشوريين﴾ قد يتغير معنى الكلمة الواحدة لديهم ولفظها مما يجعلنا نضع الف علامة استفهام على كتب ما يسمى بالمعجم الذي مصدره الرئيسي هم ﴿مفسرين وائمة مذاهب اعاجم وليسوا عربا﴾، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(1).

لن نحيد عن منهجنا وعقيدتنا في القرآن الكريم والذي لو كان من عند غير الله لما استطعنا تدبر آياته ولما وصلنا الى أي نتيجة تشريعية او علمية من خلال تدبره، النص الحقيقي للقرآن يتحدى الكون كله من

(1) سورة النحل: آية 103.

خلال النتائج التي يمكن استخلاصها منه وانا أؤمن ان الكتاب الذي بين يدينا المصحف للقرآن هو نفسه الذي نزل على نبينا محمد عليه صلوات ربي وسلامه بهذا الرسم والتنقيط والحركات ولست أدرى ما هو حال باقي الأمم وكيف وصلهم القرآن بأي لغة ورسم فأنا أتكلم عن أبناء جلدتي من أصحاب اللسان العربي الواضح السليم النطق.

تحريف الكلم من بعد مواضعه

ان المتابع اللبيب لما نكتبه في هذه الأبحاث يستطيع ان يلمس بكل سهولة طريقة تعاملنا مع النص القرآني ولكنني اجد ان البعض من الاخوة ربما يظن اننا نحاول ترقيع نصوص القرآن الكريم بما يتناسب مع شريحة معينة مغرر بهم او كنا قد استغفلناهم وجررناهم لمناهجنا بسبب رؤيته لكلمات الاستحسان وعدد ﴿اللايكات﴾ في مواقع التواصل الاجتماعي وانا اعذر من يظن بنا ظن السوء دون سابق معرفة شخصية او دراسة لمنهجيتنا المتبعة التي لا ننشرها في صفحاتنا الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي فقط بل انني اعرضها على عدة شخصيات مرموقة في الوسط الثقافي على مختلف عقائدهم سواء كانت دينية او علمانية، فالمنهج المتبع لتدبر النص القرآني لا علاقة له بالأيمان أصلاً، يعني من الممكن أنك لا تؤمن بالقرآن والله ولكنك تستخدم منهجاً معيناً يعتبر من عدة نواحي هو ﴿تعبيد لطريق وعر﴾ ومن يظن اننا

نقوم ﴿بالترقيع﴾ أقول له وماذا تظن ان الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم من المفسرين لكل المذاهب الأخرى حتى يومنا هذا كانوا يفعلون خلال الأربعة عشر قرنا المنصرمة؟!! انا أقول لك: كانوا يحرفون الكلم من بعد مواضعه بشهادة الله جل وعلا وانبياءه ورسله وملائكته عليهم!!!

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(1).

فحينما تعطي معنى مغايرا للكلمة فأنك قد قمت بتحريفها من بعد مواضعها أي رقعت النص لسد الفراغ الذهني لدى المتلقي لعدم قدرتك على فهم مراد النص بسبب حشو دماغك بكتب من سبقوك في محاولاتهم السابقة المشابهة لمنهجك او بالعكس ان منهجك لم

(1) سورة المائدة: آية 41.

يختلف عمن سبقوك، ولكننا اذ نقوم بعرض المفردة نفسها على النص القرآني لفهمها ومعرفة جذرها اللغوي فأننا لا نقوم بترقيع شـــيء بل نســير على نهج أمرنا الله به في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[1].

ولكيلا نقفل قلوبنا امام النص الصــريح الواضــح فأننا نعتمد منهجاً بســيطا جدا اوله عدم عرض النص على الروايات المنســوبة الى النبي محمد ﴿ﷺ﴾ وأهل بيته ومن عاصــر زمنه من أصــحاب وتابعين بل نعرض رواياتهم المنسوبة إليهم على النص فأن وافقته اخذنا بها وان خالفته رمينا بها عرض الجدار وهذا ما امرنا به الرسول ﴿ﷺ﴾ نفسه في أكثر من مناسـبة وامرنا الله به في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

فالحديث الذي يوافق القرآن ومنســوب للرسـول ﴿ﷺ﴾ نأخذه كما اخذنا القرآن وآياته عنه ولم نجد خلال مســيرة تدبرنا للقرآن غير الحق فكيف نـأخـذ بـالقرآن ونقول انـه حق من الرســول ﴿ﷺ﴾ ونرفض الحديث الذي في جوانبه حق موافق للقرآن مطابق له، وهل يتعارض

(1) سورة محمد: آية 24.
(2) سورة الحشر: آية 7.

الحق مع حق مثله ام ان ما يخالف الحق هو الباطل بعينه، أفتأمروننا بالباطل وأنتم تعلمون مالكم كيف تحكمون.

هيهات ان نحيد عن منهجنا والذي لا نفتري انه الحق ولا ننسب لأنفسنا علما دون غيرنا ولا نقول ان ما نكتبه هو من عند الله ابدا ان هو الا تدبر لآيات الله يستطيع ان يعمل به كل من كان قلبه سليماً يبتغي مرضات ربه عسى ان يهديه صراطا مستقيما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

افلا تعلمون ان القرآن هو ﴿كلام مفترى﴾ يمثل مقروء الكتاب بلسان قوم النبي نطقه محمد بلسانه فأصبح قرآناً عربياً بلسانٍ عربيٍ مبين ولسان الذي يلحدون اليه أعجمي.

ها انا اقولها لكم، وأكرر ان فهم الجمهور الخاطئ لكلمات القرآن ومفرداته وتشويه نصوصه بإضفاء كلمات من قبل المعاجم متشابهة ومشابهة للآيات المتشابهات في القرآن انما كانت بغية تحريف المعنى للنص القرآني فالقرآن فيه آيات متشابهات ﴿أي مشابه للسان القوم الذين نزل عليهم القرآن قبل تحريف لسانهم من قبل ارباب السلطة بأنشائهم دواوين لكتابة المعاجم﴾ وآيات محكمات هن ﴿ام الكتاب﴾ وهذا لا يعني ﴿أم القرآن﴾ المقروء بلسان محمد العربي المبين

(1) سورة البقرة: آية 79.

قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1].

الم يكن نبينا هو ذلك النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل؟!!

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[2].

افلا يتدبرون

وهذا هو أساس البحث من اوله حينما كان عنوانه ﴿افلا يتدبرون﴾ في بداية كتابتي له ، ان ننظر للنص القرآني من منظاره الاوسع لا ان نتمسك بكلمة واحدة وسطر واحد في القرآن دون عرضه على باقي النصوص ودون ان نفهم منظومة اللغات والاحرف ورسمها وطريقة نطقها والكيفية التي تم تحريفها بلسان القوم ولأي سبب وفي أي مناسبة فهذا المبحث ذو طابع عقائدي ولكنه في الأصل لا ينفي ان يكون كاتبه العبد الفقير ملماً بأصول اللغات واصواتها وتاريخها وكيفية تطورها والاحداث المرتبطة بها وحتى النواحي الاجتماعية والسيكولوجية والجغرافية للقصص القرآني.

(1) سورة البقرة: آية 78.

(2) سورة محمد: آية 20.

يوسف والنسوة في بيت امرأة العزيز

وعوداً على بدء في تدبرنا لقصة يوسف وبالأخص المشهد الذي افترينا من قبل ان مفردة ﴿المتكأ﴾ تدل على ان امرأة العزيز قد دبرت لقاء منفردا لكل إمرأة من النسوة اللاتي نبزنها وذكرنها باستهزاء في قصة مراودتها لفتاها ﴿الفتى يوسف﴾ وكما جاءني من ردود على هذا الامر وربما لقصور مني لم أستطع ايضاحه للقارئ الكريم قد اشتبه الاخوة الأعزاء كما اشتبه من هم قبلنا ممن حاول تدبر القرآن بمناهج مشابهة لمناهج السلف والعلماء الاجلاء المتصدين لتفسير القرآن، فقولنا ان مفردة ﴿المتكأ﴾ دالة على مفرد وليس جمع ومنها استنتجنا ان النسوة انفردن بيوسف كل على حدة بقرينة فعل ﴿المراودة﴾!! فأنا لا أتصور ان النسوة حاولن ان يراودن يوسف عن نفسه بصورة جماعية كما في أفلام الـ ﴿Porn﴾ للجنس الجماعي التي تروج لها الماكينة الدرامية الهوليودية والبوليودية وهذا مما يروج له أيضا المتصدين لتفسير هذه الآية على مدى أربعة عشر قرناً منصرماً من التيه والتحريف.

ولكن ربما يقول لي أحدهم، ومن قال ان النسوة راودن يوسف عن نفسه كما راودت امرأة العزيز يوسف عن نفسه، القضية ليست أكثر من جلسة يصورها القرآن في النص ويتخلل هذه الجلسة ﴿أترج وسكين وتقطيع لأيدي النسوة بالسكين بعد ان خرج يوسف عليهن﴾!! ولكنني اظن انني أستطيع جلب الدليل على فعل المراودة المنفرد بالإضافة

للنص الذي يذكر ﴿المتكأ﴾ لكل أمرأه من النسوة من النص التالي:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

ولهذا فإنني حينما ارجع واستعرض لكم المنهج بالتفصيل في بداية كل موضوع دون ان أقوم بسرد قصصي لكم كما يحب البعض ان يقرأ القصص القرآني فانا انما أحاول ان اعطيكم طريقة سهلة لتدبر القرآن وهي انك حينما تعرض المفردة نفسها على باقي المشاهد القرآنية لقصص أخرى او نفس القصة سوف لن تجد أي مشكلة في فهم القصة كما ارادك الله ان تفهمها بعيدا عن محاولات التشويه والدس والتحريف والترقيع ..وقوله تعالى بدقة ان الاعداد كان لمتكأ واحد هو ليس من اجل الجلوس في حفلة لتوزيع الفواكه والسكاكين وان يخرج يوسف عليهم كعارض أزياء متجمل كما يحصل حاليا في عروض الأزياء الرجالية والنسوة جالسات على كراسي موزعة على جانبي ممر ﴿Stage﴾ ولكن بدلا من السكاكين فهن يحملن الموبايل لالتقاط الصور التذكارية للممثل او عارض الأزياء ﴿Fashion model﴾ وهذا المتكأ

(1) سورة يوسف: آية 51.

الواحد كان لأجل ان تتحقق مكيدة امرأة العزيز بالنسوة كما كانت هي قد فعلت مع فتاها من فعل المراودة، ولو كان فعلها في الأصل بصورة جماعية لما غلقت الأبواب أصلاً، ولهذا فأن القول بالجمع ﴿اخرج عليهن﴾ في خطابها للنسوة كان بلاغياً بعيدا عن التفصيل لحادثة المراودة ووصفهن بقوله ﴿وقطعن ايديهن﴾ أي ان فعلهن وقولهن قد تشابه بمجرد ان خرج على كل واحدة منهن على حدة، اللهم اعنا على الصبر في لحظة الابتلاء برحمة منك ورضوان واجعلنا من الصديقين أنك حليم أواه مجيب.

صراع فكري لفك الغاز قصة يوسف

ان الصراع الفكري المحتدم في فك الغاز قصة يوسف في حادثة المراودة والنسوة قد يجعلنا نقف في البحث مطولا دون ان نصل الى نتيجة مرضية فالخيارات امامنا لفك شفرة هذا النص عديدة جداً وحينما نعمل في منهج لغوي دقيق في محاولة لتدبر النص القرآني سيكون لزاما علينا التوقف مرات عديدة في النص من أجل ايضاحه ولا يكفي مجرد السرد للنتائج بل يجب ان يكون كل من يقرأ مقتنعاً بالدليل الذي نعتقد اننا نستطيع جلبه من خلال النصوص المتشابهة في مفرداتها ولكنها تذكر عدة حوادث أخرى، وبعض الاخوة المتابعين قد

يتحسس من محاولتنا لدفع الشبهات من خلال الردود فقط، ولهذا نحاول التعمق في الطرح دون المساس بمشاعر الآخرين الذين لا نطلب منهم أي استحسان لما نكتب عوضاً عن ان يقتنعوا به، فهذا المبحث أساسه جانبين اثنين وليس جانباً واحداً:

الأول: اخذ النتيجة المتوخاة من هذا المبحث.

الثاني: تعلم كيفية استخدام هذا المنهج والصبر على النتيجة حتى وان كانت مخالفة لما نشتهي ونهوى.

تفصيل حادثة المتكأ والسكين

ولكي نوضح دور السكين في النص القرآني الذي يذكر حادثة المتكأ التي بينا بعض جوانبها في الحلقة السابقة سنتدبر النص التالي بطريقة مبسطة:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

كنا قد تدبرنا سابقاً بعض جوانب هذا النص ولكننا هنا نود التركيز على مفرداته بالتفصيل بعيدا عن الموروث لأهميته.

النص يذكر عدة نقاطة وحوادث:

(1) سورة يوسف: آية 31.

1- سمعت امرأة العزيز ﴿بمكر﴾ النسوة.

2- أرسلت اليهن.

3- اعتدت لهن متكأ.

4- أتت كل واحدة منهن سكينا.

5- قالت ليوسف اخرج عليهن.

6- النسـوة قمن بعدة أفعال بعد خروج يوسـف عليهن كل واحدة على حدة في المتكأ الخاص الذي أعدته امرأة العزيز من أجل ان تقوم بفعل المراودة ليوسـف وهذه الأفعال هي خيارات لا مناص منها بعد أن ﴿كدِنَ بيوسـف﴾ وبعد ان كشـفت امرأة العزيز ﴿مكرهن﴾ وهذا هو الرهان ﴿أما المراودة والفوز واما تقطيع اليد والخسارة﴾.

وسـيكون كل همنا هنا هو النقطة السـادسـة فقط، وهل حقا كان الرهان هو ان تنجح احداهن في جعل يوسف يصبو اليها وان لم يفعل تقوم بقطع يدها؟!!

❖ نتيجة مؤقته لا انصـح بقراءتها: كان الرهان يتمحور حول مكيدة وخطة قامت بها امرأة العزيز بعد تفكير عميق وحل ذكي لمصيبتها التي وقعت فيها حينما امسكها سيدها بالجرم المشهود في حادثة الباب وتمخضت نتائج التحقيق عن براءة يوسف وحصل ما حصل،

والسـكين دورها لا علاقة له بقطع الايدي انما للقيام بفعل ﴿القتل﴾ ليوسف ان هو لم يرضخ لأمرهن في فعل مراودتهن له.

واعتقد ان لا أحد ممكن ان يقتنع بهذا السرد للنتيجة بدون ان نضع امام القارئ اللبيب الأدلة التي اوصلتنا لهذه النتيجة المفتراة على النص القرآني من قبلنا، واذكر اننا لا نحاول ان نجر أحدا الى جانبا من أجل تقوية حجتنا ولسنا بصدد اقناع أحد انما هدفنا ﴿تعليم الاخرين﴾ لاستخدام هذا المنهج اللغوي في استخلاص المعلومات المهمة الموجودة في النصوص القرآنية التي شوهت بمعية ارباب المذاهب والمعاجم والتفاسير.

الكيد وخيارات النسوة امام يوسف

من اين جاء فعل ﴿القتل﴾ في قضية المراودة؟!!

اعتقد انني أستطيع جلب الدليل على الخيار الثاني ﴿القتل﴾ من النص التالي حصرا:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

(1) سورة يوسف: آية 31.

سؤال: هل فعل تقطيع الايدي كان نتيجة لرؤية يوسف حينما خرج عليهن؟!!

جواب: كلا!!

سؤال: ماذا حصل حينما رأت تلك النسوة يوسف بعد ان خرج عليهن في المتكأ على انفراد؟!!

جواب: أكبرنه!!

سؤال: وما الدليل؟!!

الجواب: قال تعالى: ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾.

سؤال: وماذا يعني هذا؟!! ماذا تعني مفردة ﴿اكبرنه في الأصل﴾ وكيف يمكن الاستدلال على وجود فعل القتل في هذا المشهد أصلا؟!! هل انت تعي ما تقول؟!!

الجواب: ان طرح هذا السؤال في الأصل يترتب عليه عدة مقدمات أهمها سؤال اعتراضي مفاده ﴿من قال ان النسوة مقيدات بخيارات محددة فقط﴾؟!! ان الجواب على هذا السؤال يجعلنا نقترب من أصل الحادثة والتي في اعتقادي لم يوفق من هو قبلنا من اهل النقل والرواية في فك شفرتها الموجودة في نفس النص القرآني، وبالتالي فأن الاستنتاج الذي توصلنا له من ان النسوة مقيدات بفعل معين في هذا الرهان نستطيع الوصول اليه من النص التالي:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[1].

فالنسوة كن قد كدن بيوسف ومكرن بامرأة العزيز وفعل ﴿المكيدة﴾ يجعل من يقوم به مقيداً بأمر من عدة خيارات مطروحة امامه لا يخرج عنها.

الكيد وخيارات اخوة يوسف

وما يجعلنا نردد بين الحين والأخر ان القرآن فيه قصص ونبوءات وتشريع وامثال وأن قصة يوسف هي أحسن القصص ومنها نستطيع إيجاد الأجوبة الشافية لتساؤلات السائلين.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾[2].

فها هم اخوة يوسف قد خيروا امرهم بين امرين بعد ان كادوا له.

قال تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[3].

---

(1) سورة يوسف: آية 50.
(2) سورة يوسف: آية 7.
(3) سورة يوسف: آية 9.

فهم قد خيروا امرهم بين أحد اثنين: ﴿قتل يوسف أو طرحه ارضا﴾ واستقر رأيهم على قول أحدهم أن أَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ الجب يلتقطه بعض السيارة!!

قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

وهذا ما وصفه ابوهم يعقوب من قبل حينما قص يوسف رؤياه عليه وهو ﴿الكيد﴾.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

وان فعل الكيد الذي قام به اخوة يوسف هو أحد الامرين ومفردة اطرحوه ارضا اتخذت شكلا واحدا من عدة اشكال متاحة وهو شكل ﴿الالقاء في غيابت الجبّ﴾

اذن قوله اطرحوه ارضا = ألقوه في غيابت الجب

قتل يوسف كان الخيار الأول للنسوة

ولكن ما علاقة مفردة ﴿اكبرنه﴾ بفعل ﴿القتل﴾ الذي نحاول تدبره في قصة النسوة اللاتي راودن يوسف عن نفسه؟!!

---

(4) سورة يوسف: آية 10.

(1) سورة يوسف: آية 5.

الجواب: بعد ان فهمنا ان الكيد يحتمل أحد أمرين وينطوي تحت اتخاذ القرار لفعل أحدهما شكل معين فأن هذا الاستنتاج يقودنا الى أن النسوة ﴿بكيدهن﴾ مقيدات بفعل من فعلين في شكل مفردة ﴿أكبرنه﴾!!

ولكن كيف نفهم ان مفردة واحدة تدل على خيارين او شكلين في خيار واحد؟!!

يمكن التوصل لجواب عن هذا السؤال ومعرفة الاشكال المتاحة أمام النسوة بعد رؤية يوسف حينما خرج عليهم من خلال تدبر مفردة ﴿اكبرنه﴾ التي قمن بها ومتابعة اشكالها في نصوص أخرى.

قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة: آية 217.

وردت مشتقات فعل الاكبار في هذا النص في عدة اشكال:

1- قتال فيه كبير وصد عن السبيل.

2- اخراج اهله منه أكبر عند الله.

3- والفتنة أكبر من القتل.

سؤال: من هو الأكبر الفتنة أم القتل؟!!

جواب: الفتنة.

سؤال ماذا اختارت النسوة ان يفعلن حينما خرج يوسف عليهن؟!!

الجواب: ﴿اكبرنه﴾.

وماذا يعني هذا بحسب النصوص السابقة لمن يتدبرها بتركيز؟!!

اختارت النسوة ان يقمن بفتنة يوسف عوضا عن قتله بالسكين وهذا هو الرهان الذي فازت به امرأة العزيز مصداقا لقولها ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ ولم يكن بمقدور أحد ان يصرف عن يوسف هذا الكيد الا الله ولهذا لجأ يوسف لربه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾(1).

(1) سورة يوسف: آية 33.

دليل براءة يوسف

وهذا هو المسوغ الوحيد الذي جعل من امرأة العزيز والنسوة اللاتي قمن بذكرها بسوء في المدينة ان يقمن بالمكاشفة وعدم انكار ما حصل في هذا المشهد من بدايته والقيام بهذه المكيدة ذات الاعداد الدقيق وتوخي الحصول من خلاله على نتائج مؤكدة فامرأة العزيز كانت متيقنة ان ولا واحدة من تلك النسوة تستطيع ان تقتل يوسف حينما تراه وبهذا لا يقع اللوم عليها لوحدها في حادثة الباب بل انها الوحيدة من بين كل النسوة اللعوبات لم يكن هناك أي اثر على يدها بخلاف باقي النسوة اللاتي سيكونن سبب ودليل براءة يوسف من سجنه وتهمته الباطلة التي ثبتت براءته منها في التحقيق الأول الذي جرى على يد سيدها الذي الفياه لدى الباب .

ولكن إذا لم يكن هناك ما يدين امرأة العزيز ولا يوجد أي أثر على يدها بخلاف النسوة الباقيات فلماذا اعترفت بذنبها في مشهد المحاكمة وقالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

العودة لقصة الفتية أصحاب يوسف في السجن

الجدلية التي وعدنا متابعينا الأعزاء ان نخوض بها هي حول الفتيان اللذان دخلا السجن مع يوسف بتهمة بث خبر حادثة الباب على الملأ

(1) سورة يوسف: آية 51.

ستكون حول تبيان ﴿عصر الخمر والصلب الحقيقي﴾ وكما أثبتنا في الفصول السابقة ان المتهمين هم:

1- يوسف.
2- الفتى الذي رأى انه يعصر خمرا.
3- الفتى الذي رأى انه يحمل فوق رأسه خبزا.

وهذا الاتهام حصل بعد حادثة تقطيع النسوة لأيديهن في حادثة ﴿المراودة والمتكأ﴾، والتي حصل فيها فتح تحقيق ثاني بالموضوع وسجن يوسف والفتيان على ذمة التحقيق لحين تبيان ملابسات القضية.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1].

وكنا قد بدأنا تدبر هذه القصة لتبيان مفردة ﴿الادكار﴾ من منظارها الاوسع لهذه القصة وكان لزاما علينا الخوض في اعماقها على الرغم من ان موضوع الادكار يبدأ من النص التالي:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[2].

(1) سورة يوسف: آية 35.
(2) سورة يوسف: آية 42.

وينتهي في النص التالي:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[1].

ولكننا من منطلق الواجب المهني في إعطاء النص حقه كان لزاما علينا الخوض في ادق التفاصيل وأعمقها من أجل التحصيل على أكثر فائدة ونفع للقارئ الكريم في فهم النص بصورة بعيدة عن القصص الشعبية والموروث الروائي في منهج لغوي بحت نحن نعتقد انه أقرب للواقع من غيره.

هل يعصر الخمر؟!

وعوداً على بدء.. سنحاول الإجابة أولاً عن كيفية ﴿عصر﴾ الخمر وهو سائل، فهل العصر هنا معناه ﴿كبس العنب وضغطه باليد والأدوات اللازمة لاستخلاص عصارته السائلة﴾ من أجل تحويله الى خمر؟!!
ومن قال ان هذه هي طريقة تحضير الخمر أصلاً؟!!

هذه طريقة تحضير شراب العنب الحلال شربه وهو أصلاً غير مسكر في هذه الحالة اما الخمر المسكر فلم يكن فيه العنب على وجه الخصوص هو فاكهة صنع المسكرات والخمور، ولنتدبر النص جيدا في قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي

(1) سورة يوسف: آية 45.

أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

ان المتدبر اللبيب لهذا النص يلاحظ جيدا ان الفتى قد رأى امر بسيط وهو ﴿يعصر خمرا﴾ وليس ﴿عصر الخمر﴾!!

وربما يقول أحدهم ما هو الفرق؟!!

أقول: عصر الخمر يختلف عن عصر خمر!!!

هل تحتاج الى كل هذا التركيز من اجل فهم النص حقا؟!!

مفردة خمر لا تشبه مفردة الخمر، كما ان مفردة اقصى لا تشبه الأقصى ومفردة مدينة لا تشبه مفردة المدينة!!

فالكلمة المعرفة بأل التعريف هي معروفة وواضحة ومفهومة على انها إشارة لشيء محدد معين يعرفه الجميع ولكن حينما ترفع ال التعريف تصبح المفردة مطلقة، اي يمكن اطلاقها على عدة أشياء ومواد، ﴿عنب او أي فاكهة أخرى او حبوب او مواد أخرى.. الخ﴾.

وماذا يدل هذا؟!

يدل على ان المقصود بالنص القرآني في قوله ﴿اعصر خمراً﴾ هو ليس الخمر المسكر المعروف فقط ولكن خمرٌ بلا تعيين وتعريف.

ولكن كيف يمكن لشخص ان يعصر خمراً؟!! اليس الخمر سائل؟!! وماذا يعني ان يقوم الشخص بمفردة ﴿عصر﴾ يا ترى؟!!

---

(1) سورة يوسف: آية 36.

ماذا يعني العصر وما هي المعصرات

قلنا ان الخمر هو السائل ومفردة خمر لا تدل على سائل بل على عدة مواد ولكن ما يهمنا هنا هو إيضاح مفردة العصر التي وردت في النص، فما هو العصر؟!!

يمكننا معرفة المعنى الصحيح لمفردة ﴿عصر﴾ من خلال البحث عن هذه المفردة بنصوص قرآنية أخرى لنرى هل العصر يعني الضغط باليد او باستخدام الآلات لاستخلاص سوائل المواد؟!!

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[1].

ما هي المعصرات؟!! وما الذي تعصره؟!! وكيف تعصره؟!!

ربما يسعفنا الموروث بعض الشيء في فهم هذه النصوص ولكن يبدو ان اهل الموروث حتى في هذه المفردة اختلفوا واعطونا تأويلاً مخالفاً للنص!! فقد اتفق الجميع على ان المعصرة هي ﴿الريح﴾ ولكن لم يخبروننا كيف انزل الله من ﴿الريح﴾ ماءاً ثجاجاً؟!!

فهل حقا الريح هي من تنزل الماء أم الغيوم التي تتشكل بفعل حرارة الجو فيتبخر الماء ويصبح غيماً ويحمل الماء البارد المنجمد من خلال تركيبته الفريدة وبفعل تلاقح الايونات والتفريغ الكهربائي يحصل التصادم الايوني ﴿- +﴾ وتمطر السماء؟!

(1) سورة النبأ: آية 14.

وان كانت المعصـــرات هي الغيوم؟!! فكيف نفهم ان الغيوم تقوم بعصر الماء؟!!

ما الذي تعصره هذه المعصرات؟!!

الجواب: المعصرات تعصر الماء!!

ماذا تقول يا رجل؟!! وهل يمكن عصـــر الماء؟!! اليس الماء هو ســـائل فيكيف يمكن ان يعصر؟!!

أقول لصاحبنا الذي أصيب بنوبة هيستيرية!!

ولكن الم يتفق اهل النقل والموروث على مدى 14 قرناً من الســـبات والتيه على ان صاحب يوسف كان يعصر خمراً ﴿عنبا﴾ ويسقيه لربه؟!! فأين هي نوباتكم واعتراضاتكم على الموروث خلال هذه السنوات الالف والاربعمئة المنصـــرمة والتي قضـــتها الامة في جدل فلســـفي عقائدي فقهي لا يضر صاحبه ولا ينفع؟! عوضاً عن تدبر مفردات القرآن أصبحنا نتدبر فلسفة اليونان!!

المعصرات تعصر الماء.

صاحب يوسف يعصر خمراً.

ولكن كيف يمكن عصر الماء وعصر الخمر يا ترى؟!!

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

---

(1) سورة يوسف: آية 49.

كيف يغاث الناس وماذا يعصرون؟!!

وهل بعد الكد والتعب والزرع والحصاد سيقضي الناس وقتهم في العصر؟!! وهل لصنع العصائر أولوية في اصلاح البلاد والقضاء على القحط والجدب وقلة الموارد التي يعتاشون عليها؟!!

من الواضح جدا ان النص الذي يذكر قوله تعالى: ﴿أني اراني اعصر خمراً﴾ مرتبط ارتباطا وثيقا بقوله تعالى: ﴿وفيه يعصرون﴾ فالعصر في النصين اللذين يذكران نفس القصة هو واحد؟!

ولكن كيف سيعصر الناس في هذا العام؟!!

لننظر الى النص بصورته الاوسع:

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

النص فيه ثلاثة أمور:

1. سبع سنين تزرعون دأباً.

---

(1) سورة يوسف: آية (46 – 49).

2. تأتي سبع سنين شداد يأكلن ما قدمتم لهن.
3. ثم يأتي عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

لا بد من الإشارة ان التقويم في العهد اليوسفي هو موسمي من فصلين وليس من أربع، فالسنة لهؤلاء القوم تحسب موسم زرع او موسم حصاد وهي فصلين اثنين مجتمعين في فصل يسمى سنة والعام هو مجموع الموسمين الحاوي لأربعة فصول!!

ونحن في غنى عن الخوض بتفاصيل هذا الموضوع حاليا لأنه خارج عن موضوع البحث ولكننا نشاهد اختلاف النص بذكره للسنة والعام في الفعل المطلوب من القوم اداءه، وواضح جدا ان الإغاثة ستكون بموسم مطر غزير فيغاثون أي يسقيهم ربهم ماءا قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(1).

وان العام الذي فيه يعصرون هو عام الجمع الذي فيه يجمعون المواد من أجل خزنها وجردها وجمع بياناتها.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(2).

---

(1) سورة الكهف: آية 29.
(2) سورة العصر: آية (1 – 3).

❖ والعصـر: هي مفردة دالة على جميع الاعمال التي تخص خزن المواد والقيام بجرد كل شاردة وواردة فيها.

❖ ان الانســان لفي خســر: من تم جرد اعماله التي قام بها في الحياة الدنيا يستثنى من ذلك.

❖ الا اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

ولكن كيف رأى الفتى انه كان يعصــر خمراً؟!! وكيف نفهم وفق هذه المعطيات الجديدة لفهم مفردة ﴿عصر﴾ ان الفتى قد خرج من السجن وقام بوظيفة ﴿سقي ربه خمراً﴾؟!! بل كيف يطلب يوسف منه ان يذكره عند ربه ﴿السـكير﴾ هذا بحســب ما يراه الموروث من تأويلات ســاذجة لهذه النصوص؟!! وكيف نفرق بين مفردة ﴿خمر﴾ ومفردة ﴿الخمر﴾؟!! قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(1).

ان تدبر مفردة ﴿يعصرون﴾ في هذا النص تقودنا لفهم نفس المفردة التي وردت في قصة رؤيا الفتى صاحب يوسف في السجن الذي نجى.

قال تعالى: ﴿أني اراني اعصر خمرا﴾.

فالعصــر هو ديدن القوم وهو مهنة يقوم بها الناس في العهد اليوسفي ومن خلال طرحنا للسؤال المناسب نستطيع فهم المفردة جيدا

(1) سورة يوسف: آية 49.

كونها فعل ووظيفة مختلفة عما روج لها المورث، كما في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا﴾ وقوله تعالى: ﴿والعصر أن الانسان لفي خسر﴾ .

والسؤال المهم هو: لماذا رأي الفتيان هذه الرؤيا بالذات؟!! أي لماذا رأى أحدهما انه يحمل خبزاً على رأسه تأكل الطير منه، والثاني رأى انه يعصر خمراً؟!!

ولماذا اقتصرت كل تأويلات يوسف لصاحبيه على الأطعمة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[1].

كيف سيسقي الفتى ربه خمراً؟!

وهناك سؤال مرتبط بقصة رؤيا الذي ظن انه ناج منهما وهو: كيف سيسقي ربه خمراً؟!!

ان تدبر مفردة السقي في آيات اخر تجعلنا نفهم جيدا انها لا تعني ببساطة ان يضع الفتى الكأس الممتلئ خمرا بيد ربه لكي يشربه!! فالسقاية تختلف عن هذا التصور البسيط، لنتابع..

(1) سورة يوسف: آية 37.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾(1).

فهل سقينا ماءاً فراتاً بهذه الطريقة يا ترى؟! ان يأتي شخص ويضع الكأس في يدينا لنشربه؟!! هل هذه سقاية؟!!

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾(2).

وهل يسقي الله الانعام بنفس طريقة سقاية الأُناسي بعد ان ينزل من السماء؟!!

ما هي آلية السقاية وهل هي مقتصرة على السوائل من عصائر وخمور ومياه؟!

أن المتابع لقصة يوسف من منظارها الواسع يفهم جيدا ان اغلب جنبات مشاهد هذه القصة تتعلق بالزراعة وطريقة خزن المواد الغذائية وكيفية انفاقها في وقت القحط والجدب، فالقصة برمتها تتعلق بالجانب الزراعي والاقتصادي سواء كانت تعبيراً لرؤيا ام تطبيقاً عملياً، وانً تعلق الرؤيا لصاحبي يوسف والملك بالأطعمة والاشربة والحبوب والسنابل والابقار ما هي الا تعبير عن وزارات لهذه الموارد، وان الفتية

(1) سورة المرسلات: آية 27.

(2) سورة الفرقان: آية (48 – 49).

هؤلاء ما هما الا أمناء مخازن في حكومة الملك واحدهما كان محتالاً في قضية مشبوهة فكانت عاقبته الصلب والثاني تم ارجاعه لوظيفته السابقة ؟!! ولكن ما هي وظيفته السابقة يا ترى والتي رجع اليها بحسب تعبير يوسف لرؤياه؟!!

الجواب: وظيفته انه يسقي ربه خمراً؟!

وماذا يعني ان يقوم الشخص بسقاية ربه خمراً؟!!

تصورات حول القصة بمجملها

بما ان هذا الفتى ﴿انا أضع احتمالا من عند نفسي﴾ هو موظف في وزارة مسؤول فيها عن خزن الموارد الغذائية فأنه كان يقوم بمهمة ﴿عصر﴾ الخمر، ولكن ليس الخمر المعرف بأل التعريف انما مفردة خمر على اطلاقها بدون ال التعريف، وهذا يعني بأنه ﴿يعصر﴾ أي يقوم ﴿بجرد وحساب وخزن﴾ الموارد في المخازن للدولة؟!!

ولكن هل كان يعمل ها الفتى لدولة الملك ام كان يعمل لحسابه الخاص؟!!

ان هذا الفتى كان يعمل لحساب ربه فكان يعصر لربه خمراً ويسقيه إياه، اي يقوم بخزن الموارد لحساب سيده الخاص والذي هو نفسه السيد الذي ذكرناه في قصة ﴿حادثة الباب﴾ ابن الملك فالفتى كان يعمل لحساب سيده هذا وهذا السيد كان على اطلاع ببراءة يوسف من التهم المنسوبة اليه بحسب التحقيق الذي اجراه بنفسه.

السقاية والمعصرات

كيف نفهم ان مفردة سقاية تكون من خلال جمع السائل في وعاء ثم تناوله او عرضه للآخرين ومفردة عصر تدل على جمع السائل في وعاء لخزنه؟!! لنتابع: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[1].

ان تناول لبن الانعام بطريقة مباشرة لا يسمى سقاية ابداً، بل يسمى ﴿رضاعة﴾ اما تناول اللبن من خلال ﴿حلب اللبن من ضرع الانعام﴾ في وعاء ثم تناوله يسمى ﴿سقاية﴾.

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2].

وان الاوعية هي مستوعبات ومستودعات للبن والسوائل تسمى ﴿معصرات﴾!!

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[3].

---

(1) سورة النحل: آية 66.

(2) سورة البقرة: آية 233.

(3) سورة الرعد: آية 14.

فهل يصـــل الماء الى افواهنا إذا قمنا ببســـط اكفنا فقط ام علينا الاجتهاد في بلوغ الماء لكي نشربه وهكذا يصـبح فعل ﴿سـقاية اللّٰه لنا ماءا من السماء﴾ قيد التنفيذ!!

اذن السـقاية لا تتم الا بعد جمع المواد وخزنها ثم تناولها طواعية او سـقيها لأشـخاص اخرين او انعام او نباتات وزروع وكل عملية لتوفير السوائل لهذه التصنيفات تسمى ﴿سقي﴾ ويسبقها ﴿عصر﴾.

اذن جملة ﴿أنى اراني اعصـر خمراً﴾ = جملة ﴿اما احدكما فيسـقي ربه خمراً﴾.

دلالة مفردتي أحدهما والاخر

ومـن رأى انـه يعصـر خمـراً هـو الـذي سيسـقي ربـه خمـراً وفـي الحـالتين وردت مفـردة خمـر بـدون ال التعريـف وهـذا يـدل علـى اطلاقهـا أي ان مفـردة خمـر لا تـدل علـى ﴿المـادة التـي يـتم تخميرهـا بطـرق معينـة لتصـبح مسـكراً﴾ انمـا تـدل علـى جميـع مـا يـتم جمعـه بوعـاء ﴿خمـار﴾ يغطيـه اثنـاء فتـرة التخـزين، ولكـن كيـف يمكـن لنـا معرفـة ان هـذا الفتـى هـو انسـان صـالح بـريء؟! والأخـر الـذي رأى فـي المنـام انـه ﴿يحمـل فـوق رأسـه خبـزا﴾ فتأكـل الطيـر منـه، هـو متـورط فـي جريمـة؟! وقـد تـم الحكـم عليـه فعـلاً بالصـلب بعـد ان تبينـت نتـائج التحقيـق النهائيـة والتـي قـام بهـا اشـخاص

على مستوى دراية وحكمة وحلم في التقصي عن الحقائق كما بينا في حادثة ﴿الباب والمراودة﴾؟!!

لنتابع النص من جديد، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أحدهما إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ولنتابع النص الذي يعتبر جملة خبرية للنص الأول، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[2].

ولنتدبر مفردات بارزة تكررت في هذين النصين وهي:

في النص الأول قال أحدهما أنى اراني اعصر خمراً.

في النص الثاني جاء الجواب ﴿اما احدكما فيسقي ربه خمراً﴾.

في النص الأول ﴿وقال الاخر أنى اراني احمل فوق رأسي خبزاً﴾.

وفي النص الثاني ﴿واما الاخر فيصلب﴾.

---

(1) سورة يوسف: آية 36.

(2) سورة يوسف: آية 41.

وردت مفردات في النص للإشـارة الى هذين الفتيين ولكنها ليسـت مفردات إشـارة متشـابهة، انما ميزت الاثنين عن بعضـهما وهي ﴿أحدهما﴾ و ﴿الاخر﴾ و ﴿احدكما﴾ و ﴿الاخر﴾ في إشارة من قبل يوسف لهما، فلماذا كانت الإشـارة بهذه المفردات يا ترى وما هي دلالتها اللغوية؟!! وهل فيها إشارة الى جرم وبراءة لشخص دون اخر؟!!

الاستعانة بقصة ابني ادم

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

في النص السـابق وردت نفس المفردات لابني ادم المتخاصـمين وكانت إشـارة ﴿أحدهما﴾ للفرد الصـالح واشـارة ﴿الاخر﴾ للفرد القاتل المدان بحسب ظاهر النص القرآني.

فأحدهما = هو الفرد الذي لم تثبت عليه التهمة.

والأخر = هو الفرد الذي ثبتت عليه التهمة.

ولكن ما هي تهمة صاحب يوسف في السجن ﴿الاخر﴾ والذي كان جزاءه الصلب؟!!

(1) سورة المائدة: آية 27.

وما هي آلية الصلب الحقيقية وشكلها بحسب النص القرآني؟!!

وما علاقة وضع الخبز على الرأس بالصلب بحسب الرؤيا وتأويلها؟!!

وهل لجريمة هذا الفتى علاقة بمهنته التي كان يزاولها في وزارة الموارد والمخازن في حكومة الملك قبل ان يدخل السجن؟!!

وهل كان لهذا الفتى رباً يعمل عنده كما كان صاحبه الذي دخل معه السجن؟!!

اعتقد انني بتوفيق من الله أستطيع ان اضع نظرية أقرب للواقع لفهم النص القرآني ان شاء ربي..

نظرية الصلب والصليب

ماهي آلية الصلب الحقيقية بحسب مفاهيم القرآن الكريم؟! لنتابع:

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾(1).

حينما نتدبر هذا النص القرآني بدقة نلاحظ فيه عدة أمور إذا اسقطناها على مفرداتنا الدارجة وتطبيقاتها العملية الواقعية سنجدها غريبة جدا، مثلا: ﴿كيف يكون الصلب في الجذوع وليس عليها﴾؟! هل سمعتم بتطبيق عملي لهذه الجملة بحسب الفهم الكلاسيكي لها؟!!

---

(1) سورة طه: آية 71.

وهل يصلب الانسان في داخل الجذع ام على الجذع؟!! بل وكيف يكون الصلب إذا ما نظرنا الى بداية النص الذي يذكر فيه فرعون انه سيقطع ايادي السحرة وارجلهم من خلاف؟!!

اليس الصلب يا سادة يكون على الصليب بشكل علامة كروز ﴿+﴾؟! اليس هذا ما نعرفه من واقع عملية الصلب من خلال معايشتنا للطائفة المسيحية والذين يحملون صليبهم دوما على شكل قلائد يتبركون بها وتذكرهم بقصة صلب المسيح بحسب ما روتها لهم قصصهم في الاناجيل والعهد القديم؟! الا تتخذ إنكلترا الصليب بشكل علامة ﴿+﴾ رمزا في علمها؟!! الم يكن الصليب بعلامة ﴿+﴾ رمزاً في دروع جيوش الحملات الصليبية وريتشارد قلب الأسد؟!! اليست هذه الرواية متفق عليها من قبل الغرب ومن قبل الرواة الذين يفتخرون بأمجاد صلاح الدين الايوبي واحتلاله لأورشليم بعد ان كانت بيد الصليبيين؟!!

السؤال حول هذا النص بدقة: كيف يكون شكل الصلب داخل الجذع بحسب هذا المنظور القرآني وكيف يتم الصلب بدون وجود ايادي وأرجل وما هو الجذع للنخلة أصلا؟!!

سنحاول جهد الإمكان ان نوصل ذهن القارئ الى فهم ﴿انا اظن﴾ انه أقرب للتطبيق الواقعي من الموروث الكلاسيكي ولا ننسى ابدا ان القرآن

نزل بلسان عربي مبين لا بلسان الاعراب والجمهور والغرب الاعجمي قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(1).



(1) سورة النحل: آية 103.

لقد دأب الفكر الكلاسيكي للمؤرخين على الخوض في خيالات المجاز لكل نص قرآني لا يجدون له تأويلا او مخالفا للقواعد اللغوية ﴿GRAMMAR﴾ التي اتفق عليها اسلافهم ليقوموا هم بمحاكمة النص القرآني على أساسها، وكمثال على هذا فهم ﴿أي النحويون﴾ قد بينوا في كتبهم ان حرف الجر ﴿في﴾ والذي يقابله في اللغة الإنكليزية ﴿IN﴾ يدل على دخول الشيء في الشيء، وحينما نتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ بحسب هذه القواعد يجب ان نفهم من هذا المشهد ان على جند فرعون ان يدخلوا السحرة في داخل جذوع النخل!! وأن كان هذا المشهد ربما يمكن إيجاد له حل تطبيقي في مرحلة الدخول في الجذوع فقط بغض النظر عن جوانبه الشكلية الأخرى فماذا سيقول اصحابنا من اهل الدراية والرواية والموروث الكلاسيكي الاخباري في تأويل آيات القرآن في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾(1).

كيف سيأتي الله ﴿في﴾ ظلل من الغمام في حين ان المفروض ان يقول ﴿بظلل من الغمام﴾ ليستقيم المعنى؟!! هل من مدَّكر؟!!

هل يدخل الله في مخلوقاته وهو المنزه عن مجانستها بحسب الأثر والحديث؟!!

(1) سورة البقرة: آية 210.

ولا شك عندي ان هذا المشهد التصوري الذي يرميه المفسرين في خانة المجازات ﴿تجويز ما لا يجوز﴾ والناسخ والمنسوخ، بل وحتى تجرءهم على القول بتحريفه ودسه في النص القرآني وأنه ليس من القرآن لا لشيء الا لأنه أعجزهم وأذلهم وبين للعامة جهل هؤلاء بمبادئ لسان القرآن اللسان العربي المبين، ولسان الذي يلحدون اليه أعجمي، بل حتى أروع اعمال بابلو بيكاسو ﴿Picasso﴾ الفنية وفان جوخ ﴿van Gogh﴾ في الرسم الميثولوجي لن تستطيع ان تصور لنا ما هو شكل دخول الله في ظلل الغمام والملائكة ليس عجزا منهم ولكن لأن هذه اللوحة لن تصوره كإله وهو متصاغر مهين لا يكاد يبين غير متكبر في هذا المشهد المخيف بحسب وصف الله والذي حرفته قواعد الكلم الوضعية التي يحاكم بها نص قرآني يعتبر مصدرا من مصادر تقويم اللغة الدارجة في مناطق شهرة القرآن وانتشار تعاليمه ومفرداته وقدسيته.

قال تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾(1).

وعوداً على بدء لكي نفهم كيفية الشكل الواقعي من منظور قرآني للصلب لنتدبر النص القرآني الذي يذكر هذه المفردة:

---

(1) سورة الزخرف: آية 51.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(1).

قال تعالى: (لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(2).

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾(3).

قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(4).

---

(1) سورة المائدة: آية 33.

(2) سورة الاعراف: آية 124.

(3) سورة طه: آية 71.

(4) سورة الشعراء: آية 49.

في هذه النصــوص وردت كلمة ﴿الصــلب﴾ في ســياقات العقاب والعذاب والتقتيل نكالا بالمعارضــين للأنظمة ســواء كانت من جانب الخير ام من جانب قوى الشر والظلام.

كما وردت في ذكر محاولة قتل عيسى ابن مريم:

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1].

ووردت أيضا في تفسير رؤيا الفتى صاحب يوسف في السجن الذي رأى انه يحمل خبزا على رأسه فتأكل الطير منه:

قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[2].

وبهـذا نفهم من خلال المقارنـة بين فعـل تقطيع الايـدي والارجـل وفعل حمل الخبز على الرأس في رؤيا الفتى صاحب يوسف في السجن انه لا علاقة بشــكل الصــليب الـذي نراه في هذا اليوم في الكنائس

(1) سورة النساء: آية 157.
(2) سورة يوسف: آية 41.

والأفلام والاثار والتماثيل الفنية والمنحوتات واللوحات التي تصور الرجل يمد ذراعيه على خشبة بمستوى كتفه وتثبت بمسامير على وتد الخشبة والتي تكون بشكل الصليب ﴿+﴾.

من تقطع يده لا يمكنه ان يعلق من خلالها على خشـبة عاليا لأنه لا يد له.

ومن يرفع يديه عاليا لحمل الخبز بوعاء ﴿صينية من الفخار او السعف والجريد﴾ لا يمكن ان يكون شكل صلبه يأخذ وضع ﴿A CROSS﴾

ولكن كيف يمكننا فهم الية الصلب في الجذع وليس معلقا عليه؟!!

ان الفكر السـائد يجعل من القطع واليقين المتحصـل من المحيط الاجتماعي أن مفردة الجذع في قوله ﴿جذوع النخل﴾ هي دالة على جسم النخلة البارز فوق الأرض ويحمل في نهايته العليا السعف والثمار ومنه يمكن للفلاح ان يتسـلق على ﴿جذع﴾ هذه النخلة للوصـول الى قمتها وتشـذيبها وتلقيح ثمارها بل ان مفردة ﴿جذع﴾ يسـتخدمها الأطباء والبيولوجيين في الإشـارة للخلايا الجذعية ﴿STEM CELLS﴾ او الخلايا الجذرية في الكائنات الارقى في سـلم الفصـائل والانواع، وكما ذكرنا في الفصول السابقة ان القرآن هو رسالة تعبر عن وجهة نظر من

أرسلها فكيف سيكون شكل الجذع قبل قيام حاخامات واحبار الأديان والمفسرين الذين أكثروا من التأويلات والاسقاطات الذهنية لتصوراتهم ومجازاتهم من كتابة هذا التأريخ الذي لا يشبه ما موجود في ظاهر القرآن الكريم وخاصة في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(1).

فما علاقة الجذع بالرطب يا ترى؟! وكيف ستهز ﴿مريم﴾ الجذع اليها وليس هزا عشوائيا من أجل الرطب وهي في حال لا يمكن تصويره للقارئ الكريم من الوهن والضعف سوى في وصفه تعالى حينما قال عن لسان حال مريم: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾(2).

---

(1) سورة مريم: آية 25.

(2) سورة مريم: آية 23.

الخاتمة

ان الهدف الرئيسـي من كتابتنا لهذا المبحث كان لتثوير العقول وانارة المدارك والهمس في القلوب من اجل تحريكها نحو الحقيقة القابعة امام اعين الناس منتظرة إياهم ان يتلاقفوها ويصـححوا بها مسـار التاريخ ويفتحوا افاق جديدة في البحث وطلب العلم والمعرفة والتحري عن العقيدة وبالتالي فأن وضعنا للمناهج تلو الأخرى كان عبارة عن توفير وسـائل تعليمية وليس وسـائل تفسـيرية جاهزة لنصـوص القرآن، فنحن اذ نقدم لكم هذا البحث المتواضـع فإنما نريد ان يكون منهجا وليس معجماً، وهذا المنهج لم يكن تصميمه وهدفه الإجابة عن معاني وتفاسير الآيات القرآنية سواء كانت عقائدية وتشريعية وفقهية وتاريخية ولكل صـاحب رأي في عقيدته كامل الحرية في تقبل هذا المنهج او رفضـه وقد كررت في عدة مناسـبات ان على الفرد المكلف الالتزام بتقليده ومذاهبه التي يذهب اليها ونقدم له كامل الاحترام لمقدساته ورموزه الدينية ولكننا نقول ان هذا الاحترام لا يمنع من وضع الأسئلة والاجابة عليها ان عجزت او تقاعست المؤسسات الدينية عنها، بل قد تحرم بعض المؤسسات على ذلك الفرد مجرد طرح السؤال.. ونحن هنا نريد من المتابع الكريم ان يتطبع على تكرار الأسـئلة العديدة نحو كل نص قرآني ولا يكتفي بالأجوبة الفلسـفية المعقدة ..فانا ان كنت مجرد طالب علم اتدارس كتاب الله واتدبره امتثالا لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1] واجد ان اغلب كتب التفسير لم تراعي في اجوبتها المستوى الفكري لعامة الناس ناهيك عن طلبتهم الاكاديميين ومهما ارتقى صاحب العقل البشري في اختصاصه فسيبقى في الجانب الديني يعتبر غير مختص من قبل المتشرعة وعلمائهم وفقهائهم وبالتالي فأن حتى الطبيب والمهندس قد همش دوره في تدبر القرآن الكريم وكف عن تدبره بسبب هؤلاء ومناهجهم التي تحرم على الناس الخوض في تفاصيل تفسير نصوص القرآن الكريم ناهيك عن تدبرها ومن منظارنا الشخصي نجد ان الفقهاء قد اضروا بالعامة من الناس ومفكريهم على حد سواء في تراتبية الاجتهاد والاحتياط الفقهي الاصولي والاخباري وابسط مثال يمكن ان نطرحه هو الرسالة العملية الفقهية لمراجع الدين واخص بالذكر منها الفصول الأولى التي تهتم بالطهارة واقسام المياه فأن مقدمة الصلاة في النص القرآني لا تتجاوز الأربع أمور أو أوامر الهية وردت في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ

(1) سورة ص: آية 29.

عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(1).

في حين إذا راجعت الرسالة العملية فإنك ستجد ان الفقيه العالم قد اطال الشرح الفلسفي المعقد للطهارة واقسام المياه بما قد يصل أحيانا الى 600 صفحة فلسفية وبمصطلحات صعبة التدبر حتى على الأكاديميين أنفسهم.. وأصبح لزاما على عوام الناس بدلا من تدبر نص بسيط واضح ميسر بلسان عربي مبين فيه أربع أوامر واضحة جدا ﴿غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين﴾ الى ان يحاولوا جهد الإمكان ان يطبقوا منهجا فقهيا مكون من 600 صفحة!! وعوام الناس هؤلاء هم ﴿الحرفي وصاحب المحل والمتجر والسائق وبائع الخضرة والفواكه وأصحاب محلات وبسطات الملابس والمنتجات الحيوانية والزراعية والسمكية والصناعية المتواجدين في الأسواق﴾، وأنى لهم فهم تلك الرسائل العملية واغلبهم قد خرج من المدرسة منذ ان كان في سن مبكر من اجل البحث عن لقمة العيش له ولأهله وعياله.. وهؤلاء بحسب ظني من الأولى لهم قراءة القرآن فقط على ان يتدبروا الرسائل العملية الفقهية تقربا من ربهم الأعلى.. وبهذا يتضح لنا ان للجانب الفقهي ومدارسه الدور البارز في ابتعاد المجتمع عن الإسلام الحقيقي الذي أراده الله للأمم والمجتمعات كما وضحنا لكم المضار السلبية للأخطاء الشائعة

---

(1) سورة المائدة: آية 6.

في فهم النص القرآني والابتعاد عنه والركون للروايات والمذاهب من اجل تفسـيره وتطبيقه وخاصـة في قضـايا ابتلاءية يومية للفرد مثل الصلاة والصوم والوضوء وغيرها.. وبالتالي على الامة إعادة كتابة التاريخ من جديد من خلال وقفة جادة وثورة فكرية في المفاهيم العقائدية والتشريعية من اجل السير على اعتاب الصراط المستقيم الذي سيوصلنا بهدى الله وقرآنه الكريم حتما الى النور المشرق للرب الأعلى الرحمن وبه نستعين قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1].

تم بحمد الله

بتاريخ 2020/10/2

أسامة عبد الأمير البدران

---

(1) سورة الزمر: آية 69.

الفهارس

- فهرست المراجع والمصادر
- فهرست المحتويات

التراجم

- ترجمة المؤلف :أسامة عبد الأمير البدران

المراجع والمصادر:

اولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث الصادرة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)

ثالثاً: مجموعة من كتب السيرة والتفسير.

1- الرازي: فخر الدين: إسرار التنزيل وأنوار التأويل – منشورات دار واسط – للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد – العراق.

2- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن – معترك الأقران في اعجاز القرآن – صححه: احمد شمس الدين – المجلد الأول – الطبعة الأولى – 1988 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

3- الطبطبائي: العلامة محمد حسين – الميزان في تفسير القرآن – منشورات – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – الطبعة الأولى – 1997 – بيروت – لبنان.

4- العاملي: ضياء جواد – التفسير العلمي للآيات القرآنية – الطبعة الاولى – 2008م – مطبعة الفكيكي – بغداد – العراق.

5- شاكر: كمال مصطفى – مختصر تفسير الميزان – الطبعة الثالثة – 1426 هـ - منشورات – طليعة النور.

6- الجراح: الموقع الرسمي للدكتور رشيد سليم - أستاذ في جامعة اليرموك الأردنية ومتخصص باللغة العربية والتفسير- مجموعة محاضرات وتفسير للقصص القرآنية – (كيف خلق عيسى أبن مريم – نظرية الأمانة – لماذا قدم لوط بناته – فقه الحج – قصة يوسف).

7- ابن عبد ربه – شهاب الدين احمد – العقد الفريد – الطبعة الثانية – سنة 1928 – المطبعة الأزهرية – القاهرة – مصر.

8- الجزائري: السيد نعمة الله – قصص الأنبياء – الطبعة الأولى سنة 2009م – دار الجناحين – النجف الاشرف – العراق.

9- الصدر: السيد محمد (قدس سره) – منة المنان في الدفاع عن القرآن – إصدارات – مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر.
10–اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر – الطبعة الأولى – 1358هـ - من منشورات المكتبة الرضوية في النجف الاشرف- العراق.
11–البدران: عبد الأمير مكلف – كتاب بغداد خاتون – الطبعة الأولى 2009.
12– البدران: عبد الامير مكلف- كتاب الانسان- مؤسسة العصامي للطباعة والنشر والتوزيع- 1437هـ- 2016م- بغداد- العراق.
13–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – كتاب مشكاة أبي – الطبعة الأولى 2017.
14–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة حلقات منشورة منذ عام 2018م تحت عنوان (المائدة المستديرة – ديموقراطية عيسى والحواريين).
15–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – كتاب المائدة المستديرة – منشورات دار الرفاه للطباعة والنشر – 2019م/1440 هـ - بغداد/العراق.
16–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة حلقات منشورة منذ عام 2019م تحت عنوان (ثورة المفاهيم وتصحيح التاريخ/ محتوى مرئي وكتابي وصوتي).
17–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة حلقات منشورة منذ عام 2020م تحت عنوان (سلسلة حلقات الإصلاح العقائدي – القلب السليم).
18–البدران: أسامة عبد الأمير مكلف – الموقع الرسمي للكاتب أسامة البدران – مجموعة مقالات وابحاث متخصصة في التاريخ والعقائد واللغات منشورة منذ عام 2010م.

تنويه:

المصادر التي وردت في ذيل البحث هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب، أما المصادر التي أسهمت فيه بطريقة او أخرى فقد أشير إليها ضمن الهوامش الواردة فيٍ ذيل كل فصل من فصول هذا الكتاب ولم نحبذ تكرارها (هنا) اختزالا لحجم الكتاب وهناك مصادر ذكرت في ذيل البحث لم نشر لها في صفحاته بسبب انصهار معانيها مع روح البحث بتصرف الكاتب نفسه مع الاعتذار للإخوة القراء والباحثين الأفاضل.

-المؤلف-

1442هـ - 2021م

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة

السيرة الذاتية

أســامة عبد الأمير البدران ، كنيته (أبو محمد) ولد في الحادي والثلاثين من مـايس عـام 1981م ، في بغـداد ، وتربى على نور المعرفة واضـــواء الثقافة وآداب الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبي الإسلام محمد عليه افضــل الصــلاة وأتم التســليم وعلى آله الاتقياء المُنتَجبين ، فتمســك بالعروة الوثقى وبدأ البحث بين الواح مكتبة ابيه بشــغف عن ضـــالته المنشودة في شتى ميادين العلم والمعرفة وكان لأبيه الأستاذ عبد الأمير البدران الفضـــل في تعلمه النطق الصـــحيح لمفردات اللغة العربية وتنمية حب قراءة القرآن الكريم ، اكمل دورة الفقه واحكام التجويد في بغداد في ســن الرابعة عشــر من عمره وعين أســتاذا في احد المســاجد لتعليم قراءة القرآن واحكام التلاوة رغم صغر سنه ، قدم اول بحث علمي بمساعدة والده تحت عنوان (الله ، لفظ الجلالة) في سن الخامسة عشر ، وهو بحث عقائدي رصـــين ، ثم اكمل الدراســة الإعدادية والتحق بكلية التربية الرياضـــية – جامعة بغداد 2002 م وتخرج منها عام 2010م حيث كان له عدة مســاهمات في مجال التربية البدنية ...خاض في مجال التسـويق وتطوير الافراد وبناء الشـخصـية وألقى محاضـرات شتى

في عدد من المؤتمرات والمعاهد التدريبية في مجال البرمجة اللغوية العصبية واستخدام الحاسوب والانترنت وبناء المواقع الالكترونية ، له كتابات في مجال الصحافة والاعلام نشرت على اكثر من موقع وجريدة محلية ودولية ، شارك في منظمات إنسانية ومنظمات المجتمع المدني ونقابات واتحادات ثقافية عديدة .

من المقالات المنشورة له:

1. كتابان عن مأساة العنف في بغداد. جريدة الزمان، 2014/2/16.
2. شجرة العائلة الفونولوجية، جريدة الزمان، 2014/2/23.
3. التكنولوجيا وأثرها في الانتخابات، جريدة الزمان ،2014/4/2، جريدة المستقبل، العدد2014/664.
4. التطبيق الخاطئ لمبدأ العقاب التربوي، جريدة الزمان2014/4/24، والعالم اليوم والمستقبل، واعيد نشره بعد مدة في مجلة شواطئ وفي صفحة شواطئ تربوية من قبل مدير تحرير المجلة الأستاذ (عبد الحكيم اللطيف) مدير قسم الاعلام في جامعة البصرة،
5. تسويق الاعمال الصغيرة مع (تويتر)، ومواقع التواصل الاجتماعي، جريدة الزمان.
6. القيمة الزمنية للنقود والأوراق المالية، جريدة الزمان، 2017/5/10.
7. ثقافة المؤسسة، جريدة الزمان، 2016/10/17.

8. بوتين يؤسس لعلم جديد، جريدة الزمان، 2014/4/14.
9. نظرية ما وراء التسويق، تقنية مثالية لاختيار المرشح الأنسب في الانتخابات القادمة، جريدة الزمان، 2017/2/26.
10. العمل الجماعي أداة لنجاح المؤسسات، جريدة كربلاء اليوم
11. مدخل الى التداؤبية أو السينارجيا، جريدة الزمان.

المؤلفات والبحوث:

1. بحث أكاديمي في التربية البدنية كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس موسوم بـ (التحليل الفني لتطبيق مهارتي الدفاع الفعال في الكرة الطائرة) تم تطبيقه على الفريق الفائز بالمركز الأول والفريق الأخير في بطولة العالم الحادية والعشرين بكرة اليد للرجال.
2. بدائل محو الأمية في العراق، استخدام التدريس التنموي كبديل للدروس الخصوصية، بحث مخطوط
3. كتاب شجرة العشيرة، 2010، مطبوع.
4. كتاب مشكاة أبي، 2017، مطبوع.
5. كتاب المائدة المستديرة، 2019، مطبوع.
6. موسوعة تربية الطفل في أربعين حلقة، تأثير الاندرويد وأنظمة الحاسوب والتلفزيون على شخصية أطفالنا، المواقع الاجتماعية

المحاذير، والايجابيات، استخدام الطرق التربوية الحديثة للسيطرة على سلوك طفلك، مخطوط.

7. كتاب ثورة المفاهيم وتصحيح التاريخ - مخطوط.
8. كتاب القلب السليم – مخطوط.
9. كتاب تأصيل الحس الثوري – مخطوط.